

مجلة الكلمة الطبية

العدد التاسع عشر

كلمة الكلمة

حلف للعدل

في جاهلية العرب، وعندما حدث بعض حوادث الظلم الصارخ في مكة، تداعى بعض العقلاء وأصحاب الضمان الحية والإرادات الحرة لمواجهة هذه الظاهرة الجديدة، فكان حلف الفضول، الذي قام على أساس إعادة حق المظلوم أيّاً كان من الظالم أيّاً كان، أي أنّ هدفه إقامة العدل وبلا قيود ولا خطوط حمراء ولا ازدواجية في الموازين تفرّق بين الناس والحق، مع أنّ الأعراف السائدة آنذاك أعراف قبلية تصل حد التعصّب الأعمى للقبيلة وأفرادها. فكان الحلف إحياءاً للأمة التي لو لم تحتكم إلى العدل لاحتكمت إلى السيف ولأكل بعضها بعضاً وعمّت الفوضى وسالت أنهار الدماء، وترسّخت البغضاء والعداوة في النفوس وتعطلت الطاقات وأصبح للحياة شكل آخر.

هذا الحلف الذي قال عنه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) - والذي كان من مؤسسيه -: لو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت.

وفي عالم اليوم، عالم الحضارة والتشريعات وحقوق الإنسان والمنظمات والهيئات العالمية و...، هل تداعى إلى إحقاق الحق وفرض العدل على الظالمين؟ أم أنه تجاهل ذلك؟ وهل هذه التشريعات والمنظمات و...، قامت على أساس العدل ومن أجله، أم أنها قامت على أساس مصالح الأقوى ومن أجلها؟ فأصبح المظلوم وليس له بدّ من الانتقام، وليس له خيار غير القوة. ليصبح من ثم الانتقام والعنف ثقافة في المجتمعات بدل الاحتكام إلى العدل، الذي لا يقوم به أحد.

أليس الإرهاب ظاهرة لها جذور ممتدة في عمق المجتمعات؟ فمنها من دفعه يأسه من العدل - وهو مظلوم - إلى الانتصاف لنفسه بنفسه، ومنها ما يكون الإرهاب والعنف طريقاً لإثبات الذات المنحرفة والكسب المنحرف، ومنها ما يكون العنف والإرهاب انعكاساً لنفس مريضة منحرفة، عندها يصعب عليه التمييز بين الأمور، فالعنف - كما يقول السيد الشيرازي - يعمى عن الحقيقة دائماً.. وبالتالي يرى الحق باطلاً والباطل حقاً، ويرى الضحية إرهابياً، ويرى الجزار ضحية.

وبعد ذلك يُدعى إلى حلف يصنّف الناس، لا على أساس العدل والمساواة ولكن على أساس المصالح، فمن كان وجوده لا يتناسب مع مصالح الحلف فهو إرهابي! وبذلك يصبّ كلّ العالم لعناته وغضبه وصواريخه على رأسه.

إنّ ما نراه من عنف وإجرام مستشر في العالم سببه تغييب حرية الكلمة ورفض الرأي الآخر وإلغائه. نفسية السلام واللاعنف لا تنمو إلا في مجتمع يحترم ذلك، يقول سماحة السيد الشيرازي (إذا كانت الآراء حرة سكت السلاح) كما أنه نابع من ثقافة حقّ القوة التي تبرّر لمن يمتلك القوة التصرف كما يشاء وأخذ ما يشاء

دون حساب ولا من يقول له: لا أو لماذا؟

وهذه الثقافة هي المسؤولة عن السباق المحموم لامتلاك القوة في العالم حيث كل متسابق يريد أن يحصل على أكبر قدر منها ليتحكم بالآخرين ويفرض إرادته عليهم، وهذا الصراع على القوة لا يمكن أن يفضي بالإنسانية إلا إلى مستنقع الحروب العالمية والنكبات الإنسانية من جديد. إنها دعوة إلى العدل... وإلا فهي نبوءة بالدمار الشامل للإنسانية التي ستقضي على نفسها بنفسها.

أسرة التحرير

مفاهيم إسلامية

إطالة على مفهوم المسؤولية في الفكر الإسلامي

ماجد الفرجي

المقدمة

تمثل المسؤولية ركيزة هامة في حياة المجتمعات، على اختلافها، إذ أن الالتزام بأعراف وأديان وعادات تلك الأمم يعني تحملاً للمسؤولية الفردية والجماعية ضمن تلك الأمم، بما تعنيه هذه الكلمة من مراعاة للواجبات وصولاً إلى قمة الرقي والازدهار والمقام المرتجى لسعادة الإنسان، وذلك مما لا يمكن تحقيقه دون الولوج في معترك الحياة وبذل الجهد وتحمل العناء.

فالإنسان كائن لا تستقيم له الحياة إلا عبر برنامج وقانون محكم يرسم له كيفية التطبيق وتوظيف الطاقات، وإلا عاش حياة الفوضى.

والمسؤولية امتداد طبيعي للحفاظ على هذا القانون الذي وضعه الخالق جل اسمه كاملاً لا تشوبه شائبة أو نقص.

ولعل أبسط إنسان ومهما بلغ من قلة علمه وإدراكه لمعطيات الحياة يدرك ولو بصورة غائمة معنى ما عندما تلفظ أمامه كلمة المسؤولية، وذلك لأنها مرتكزة في فطرته لأنه يعي أنه مسؤول عن شيء ما، عن ذاته مثلاً. وإذا انتقلنا إلى دائرة أوسع فإنه يدرك أنه مسؤول عن أسرة وأقارب وأصدقاء فهذا الإدراك أراد الإسلام له أن يكون منظماً وضمن حدود العقل، ولذلك طالب الإنسان ومنذ لحظة وجوده في عالم الذر أن يكون مسؤولاً فقال ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)) (١).

فهذه عملية تكليف الإنسان قبل تلبسه بعالم المادة وتحوله إلى نطفة، ولعلها أحد معاني تحمل المسؤولية والأمانة التي أودعها الله سبحانه عند الإنسان وألقيت على عاتقه حينما عجزت عن حملها وأشفقت منها السماوات والأرض والجبال ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)) (٢).

هكذا أقحم الإنسان نفسه في وادي المسؤولية وحفظ الأمانة، لأن ذلك من شأنه لا من شأن السماوات والأرض والجبال، حيث إنهن لا يقال لهن عالمات، جاهلات، ظالمات، وإنما ذلك ممكن في شأن الإنسان.

١ - سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

٢ - سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

فحفظ الأمانة وتحمل المسؤولية تجسيد لقوله تعالى ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ))^(١). فالتكليف ظاهر حيث يترتب على ذلك الجزاء والثواب للمحسنين الحاملين للأمانة المحتملين للمسؤولية، والسوء والعقاب لتاركي تحمل هذه المسؤولية وحفظ الأمانة.

لذا وجب على كل عاقل لبیب الاستعداد للمساءلة عن هذه الأمانة وتجشم العناء في سبیل الحفاظ عليها بتحمل المسؤولية حتى يجیب حينما یسمع النداء ((وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ))^(٢) عن كل ما في هذه الحياة وعن أنفسهم.

تعريف المسؤولية

تعرف المسؤولية عادة بأنها استعداد الشخص للالتزام بعمل قام به والاعتراف بأنه صاحبه وتحمل النتائج المترتبة عليه.^(٣)

والمسؤول له عدة وجوه:

١- الذي يسأل من قبل غيره.

٢- الذي يكون مشرفاً أو مديراً أو... عن مجموعة أو عمل.

٣- المتحمل لنتائج عمله.

ونحن نختص في بحثنا هذا بالفقرة الثالثة.

المسؤولية في القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن التكليف الإلهي وأنه لابد وان يؤخذ بنظر الاعتبار، لما له من الأثر البالغ في الحياتين الأولى والآخرة، باعتباره الغاية التي خلق الإنسان من أجلها ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ))^(٤). فهذا التأكيد من الله تعالى على هذه الغاية الشريفة - هو إشعار بتحمل الإنسان نتيجة الخلقة - والإبداع الإلهي وهي المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان حيث تحمل مسؤولية حفظ ورعاية الأمانة الإلهية في هذه العبادة والمتصفة بالتكليف الإلهي. فقله تعالى ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا))^(٥).

فالأمانة مهما كانت شيء يودع عند الغير ليحفظه له ثم يستردها لاحقاً، فهذه الأمانة المذكورة في الآية الشريفة شيء انتمن الله الإنسان عليه ليحافظ على سلامته واستقامته ثم يرده إليه سبحانه كما أودعه.

فحمل الإنسان لهذه الأمانة يعني أهليته وكفايته لحمل المسؤولية رغم ضعف بدنه وصغر حجمه وكما ورد في تفسير هذه الآية الشريفة للعلامة الطباطبائي في كتابه الميزان حيث يقول (قدس سره):

١ - سورة الذاريات، الآية ٥٦.

٢ - سورة الصافات، الآية ٢٤.

٣ - موسوعة السياسة، ج ٦، ص ١٧٨.

٤ - سورة الذاريات، الآية ٥٦.

٥ - سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

((وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)) أي اشتمل على صلاحيتها والتهيب للتلبس بها على ضعفه وصغر حجمه ((إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)) أي ظالماً لنفسه جاهلاً بما تعقبه هذه الأمانة لو خانها من وخيم العقوبة والهلاك الدائم(١).

أما ما المقصود من هذه الأمانة في الآية الشريفة، فيحدثنا عنها قائلاً:

والأمانة المذكورة في الآية هي الولاية الإلهية وكمال صفة العبودية إنما تتحصل بالعلم بالله والعمل الصالح الذي هو العدل وإنما يتصف بهذين الوصفين (العلم والعدل) الموضوع القابل للجهل والظلم فكون الإنسان في حد نفسه وبحسب طبعه ظلوماً جهولاً هو المصحح محمل الأمانة الإلهية فافهم ذلك.

ولتوضيح هذه العبارة نقول أن الظلم والجهل في الإنسان وإن كانا في الآية بصيغة اللوم والعتاب فهما بعينهما مصحح حملة الأمانة والولاية الإلهية فإن الظلم والجهل إنما يوصف بهما من كان شأنه الاتصاف بالعدل والعلم. فالجبال مثلاً لا تتصف بالظلم والجهل. فلا يقال جبل ظالم أو جاهل لعدم صحة اتصافه بذلك، كذلك السماوات والأرض لا تتصف بذلك خلافاً للإنسان.

القرآن الكريم لم يهمل الإشارة إلى عاقبة إهمال هذه المسؤولية بل أوضح تلك النتائج المرتبة على ترك المسؤولية وخيانة الأمانة الإلهية الملقاة على عاتق هذا الإنسان الضعيف فقد جاء في الآية التالية ((لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ)) وتفسيرها (اللام للعناية أي كانت عاقبة هذا الحمل أن يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات وذلك أن الخائن للأمانة يتظاهر في الأغلب بالصلاح والأمانة وهو يضمّر الخيانة، ولعل اعتبار هذا المعنى هو الموجب لتقديم المنافقين والمنافقات في الآية على المشركين والمشركات).

وفي نهج البلاغة يحدثنا الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حول أداء هذه الأمانة ومن هو ليس أهلاً لحملها حيث يقول (عليه السلام): ثم أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها إنها عرضت على السماوات المبنية والأرض المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عزة لامتنت، ولكن أشفقن من العقوبة، وعقلن ما جهل من هو اضعف منهن وهو الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً.

أما الآية الأخرى التي ذكرت المسؤولية بصريح العبارة فقوله تعالى ((وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)) أي احبسوهم حتى يسألون، وقد جاء في المجمع في قوله ((وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)) قيل: عن ولاية علي (عليه السلام) عن أبي سعيد الخدري. وجاء في الخصال للشيخ الصدوق عن أمير المؤمنين قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع. عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت.

وقد جاء في النهج ما يوضح مضمون الآية الشريفة كقوله (عليه السلام): اتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم.

وروي عن انس عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما من داع دعى إلى شيء إلا كان موقوفاً يوم القيامة لازماً به لا يفارقه وإن دعى رجلاً رجلاً ثم قرأ ((وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)).

المسؤولية في حياة النبي (ص) وأهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم

عرف الرعيل الأول الذي تحمل أعباء نشر الرسالة بقدرته على التحمل وتجاوز الصعاب التي كانت قرينة لتلك الحياة البدوية القاسية، إضافة إلى ما صَبَّ على المسلمين من ويلات إثر اعتناقهم لدين الله القويم وما فعلته قريش وأوباش العرب بهم، حتى هُجِرَ من هجر وقتل من قتل وعذب من عذب وأحرق من أحرق في سبيل الله، حتى شهدت الآيات القرآنية الكريمة بهذه الفجائع ((قَتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ، النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ)) (١) ((تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا آغَتْهُ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ)) (٢) إلى غير ذلك من الآيات التي تصرح بعظم البلاء وشدته حتى يقول الرسول متى نصر الله ((وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى تَصْرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ تَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)) (٣).

وفي هذا السياق يحدثنا سماحة الإمام الشيرازي (قدس سره) حيث يقول (حقاً إن العلماء وبعض المسلمين في صدر الإسلام وبعده تحملوا المسؤولية على عواتقهم في سبيل نشر الإسلام حتى جاء في الخبر أن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يحصلوا على ما يأكلون بحيث كانوا يقتاتون على ورق الأشجار حتى تقرحت أفواههم) (٤).

هكذا صبر الرعيل الأول من المسلمين أمثال عمار وسلمان وأبو ذر والمقداد وغيرهم من الأجلاء حتى انتشرت راية لا اله إلا الله محمد رسول الله في أرجاء المعمورة، وما ذلك إلا لاقتدائهم بشخص النبي الأكرم سيد الكائنات محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) الذي عانا ما عانا في سبيل إعلاء راية الحق حتى صرح (صلى الله عليه وآله) عن ذلك بقوله (ما أؤذي أحد مثلاً أؤذيت في الله) (٥).

والاقتداء بالنبي وأهل بيته أحد الروافد التي تغذي الروح بالعزيمة وفي هذا الصدد يحدثنا الإمام الشيرازي (قدس سره) بقوله والحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله): (فهو (صلى الله عليه وآله) كما هو لنا أسوة في الصلاة والصيام والحج، كذلك هو أسوة لنا في تحمله المسؤولية التي ألقيت على عاتقه ولذا يجب أن نفتدي به حتى نتمكن من التقدم، لقد قالوا عنه (صلى الله عليه وآله) إنه ساحر، كاهن، شاعر.. حتى انتهى المطاف إلى أن أرسل المشركون عمه أبا طالب (عليه السلام) إليه ليقول له عنهم: أترك هذا الأمر، فاعرورقت عينا الرسول بالدموع وقال بكل صبر وصمود وإحساس كبير بالمسؤولية في هداية الناس ونشر الإيمان بينهم: يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه). هكذا رسم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) نهج التحمل وقوة الإرادة والشعور بالمسؤولية، وكذلك سار

١ - سورة البروج، الآيات ٤-٧.

٢ - سورة المسد، الآيات ١-٥.

٣ - سورة البقرة، الآية ٢١٤.

٤ - سلسلة من هدي المرجعية، الشعور بالمسؤولية، ص ٩.

٥ - نهج الفصاحة، ص ٥٤٣، حديث ٢٦٦٢.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) طيلة حياته الشريفة حيث كان لا ينام إلا القليل وحينما سألته أحد الناس أن يرأف بنفسه ويهجع للنوم قال بما معناه (إن أنا نمت ليلي ضيعت نفسي وإن نمت نهاري ضيعت رعيتي) وكان (عليه السلام) يأكل الجشب من الطعام ويلبس الخشن من الثياب ويصوم وحينما سئل أن يأكل من عامة الطعام قال (أبليت مبطاناً وحولي... ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا عهد له بالشبع ولا طمع له بالقرص).

المسؤولية في مدرسة الإمام علي (عليه السلام)

قد مضت الإشارة حول لزوم الاقتداء بأهل البيت (عليهم السلام) في تحمل المسؤولية، ولكن هل يمكن لشخص أن يتحمل المسؤولية جزافاً دون توجيه مناسب كيما يتوصل إلى الإحساس بالمسؤولية بما يناسب مقامه وشأنه؟

وفي معرض الإجابة عن هذا السؤال نلاحظ كيف كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يربي الناس تربية واضحة المناهج متينة الأركان خصوصاً من كان من أتباعه والمطيعين لأمره على فهم المسؤولية والالتزامات الملقاة على عاتقهم، ومراقبتهم في كل صغيرة وكبيرة وإسداء النصح لهم كما نلاحظه من هذه القصة المشهورة التي حدثت في البصرة عندما دعي عامل أمير المؤمنين وهو عثمان بن حنيف إلى مأدبة فأسرع إليها فبلغ ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فأرسل إليه هذا الكتاب يعاتبه فيه وينصحه ويذكره حيث قال (عليه السلام):

(أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوءً وغنيهم مدعوءً فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما أيقنت بطيب وجوهه فقل منه)(١).

هكذا يربي الإمام (عليه السلام) أتباعه وعماله الذين يمثلونه في بقية الأمصار مبتدأ معه بالتعجب من فعله ثم أمره بالتأني عند أخذ القرار، والنظر إلى ما وراء الحدث، ثم يقلل في عينه الزخارف الدنيوية وينهاه عن الافتتان بها، ثم النظر إلى جميع شرائح الرعية بعين واحدة وعدم التعامل مع الناس على أساس المسميات والشخصيات وإهمال بقية الرعية لكي يعيش الرعية حالة المساواة ويستشعرون العدل والرفاه ثم يرسم الإمام فيما يأتي من نص الكتاب إلى الاقتداء بشخصه العظيم قائلاً:

(ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد) ثم يستمر الإمام بتوضيح سلوكه وزهده في الحياة الدنيا راسماً بذلك النهج القويم الواضح المسالك النير الطرق لمن أراد سلوك طريق الآخرة وتحمل مسؤولية حفظ الأمانة الإلهية، التي من حفظها جاء آمنة يوم القيامة حيث يقول (عليه السلام):

(وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المزلق ولو شنت لاهتديت الطريق إلى مصقى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع أو

أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حرى أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحنّ إلى القدر

أفتع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها أو المرسلّة شغلها تقمّمها تكثرش من أعلافها وتلهو عمّا يراد بها أو أترك سدى أو أهمل عابثا...).

ثم يتكلم (عليه السلام) مخاطباً الدنيا وعزوفه عنها وزهده فيها حتى يوصي بتقوى الله ويؤكد على ابن حنيف في الوصية حيث يقول:

(طوبى لنفس أدّت إلى ربّها فرضها وعركت بجنبها بؤسها وهجرت في الليل غمضها حتّى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسّدت كفها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم وتجاغت عن مضاجعهم جنوبهم وهممت بذكر ربّهم شفاههم وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم ((أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله همّ المفلحون)) (١) فاتّق الله يا ابن حنيفٍ ولتكفّف أقراصك ليكون من النّار خلاصك).

فمن هذا النص الشريف نستلهم العزم في الثبات على تحمل المشاق في سبيل الله تعالى والعزوف عن دار الغرور وليت كل زعيم يقتدي ولو يسيراً بما أمر به سيد الوصيين (عليه السلام) وليت الحكام يسировون على هذا النهج القويم الناصع المعالم.

وليتنا كمسلمين نتبع ما أوصانا به سيد الوصيين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لتجاوزنا بذلك المحن التي صبت على الأمة التي استضعفت وكأنها الآن ليست كما قال الله فيها ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)) (٢) بل أصبحنا أضعف الخلق قوة، وأقلهم عزيمة، وأجبنهم جناناً، وأقلهم ثباتاً في المواقف. هذه هي النتيجة التي أوصلنا إليها إهمالنا الواجب والمسؤولية وإيكال الأمر إلى الغير، فأصابنا الذل لأننا تركنا الجهاد في سبيل الله بالقلم والقول والفعل، حتى أنك لا تجد من يأخذ الأمور بجديّة وثبات. فالذي ينظر لا يطبق والذي لا ينظر ولا يطبق، فعلينا أن نعلم علم اليقين إن المسؤولية عظيمة والحمل ثقيل.

١ - سورة المجادلة، الآية ٢٢.

٢ - سورة آل عمران، الآية ١١٠.

شاعر وقصيدة

الحر العاملي

علي الياسري

هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد، ينتهي نسبه إلى الحر الرياحي المستشهد أمام الإمام الحسين (عليه السلام) يوم الطف.

أما مولده فيذكره هو بنفسه حينما يترجم لنفسه في كتابه (أمل الآمل) حيث يقول: (محمد بن الحسن بن علي، الحر العاملي المشغري مؤلف هذا الكتاب، كان مولده في قرية مشغري ليلة الجمعة ثامن رجب سنة ١٠٣٣ هـ). قال الحموي: مشغري قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع، وقال الزركلي في ترجمة الشيخ الحر العاملي: ولد في قرية (مشغر) (من جبل عامل بسورية).

أقوال العلماء فيه

يقول العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني عن الحر العاملي: (شيخنا المترجم له، لا تنسى مآثره، ولا يأتي الزمان على حلقات فضله الكثار، فلا تزال متواصلة العرى ما دام لأيديه المشكورة عند الأمة جمعاء أثر خالد). فهو إذن وريث الشرف والعز، وحفيد العلماء والأدباء، وسليل المجد والكرامة، ومن أسرة عريقة بالفضائل والمعالي.

وقال خير الدين الزركلي: (محمد بن الحسن بن علي، الملقب بالحر، فقيه إمامي، مؤرخ). وقال فيه المحقق الشهير الشيخ القمي: (شيخ المحدثين، وأفضل المتبحرين، العالم الفقيه النبيه، المحدث المتبحر، الورع الثقة الجليل، أبو المكارم والفضائل، صاحب المصنفات المفيدة..). ويقول (عمر رضا كحالة) في (معجم المؤلفين): (مؤرخ، فقيه، أصولي، محدث، متكلم، مشارك في أنواع من العلوم).

وهذا مؤشر واضح على وثاقة الشيخ الحر العاملي وجلالة قدره من خلال تقييمات العلماء له.

مؤلفاته وتصانيفه

له مؤلفات وتصانيف نذكر منها:

- ١ - كتاب (الجواهر السنية، في الأحاديث القدسية).
- ٢ - الصحيفة الثانية من أدعية علي بن الحسين (عليه السلام).
- ٣ - تفضيل وسائل الشيعة، إلى تحصيل مسائل الشريعة.

٤ - هداية الأمة، إلى أحكام الأئمة (ع).

٥ - فهرست وسائل الشيعة.

٦ - الفوائد الطوسية.

٧ - إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات.

الحر العاملي شاعراً

عرف الحر العاملي بفقاهته وروايته للحديث وتبحره في كثير من العلوم، وقد كان أيضاً (رحمه الله) شاعراً، ذكر هو بنفسه أن له ديوان شعر يضم عشرين ألف بيت أكثره في مدح النبي (ص) والأئمة (عليه السلام)، كما يضم أربع منظومات تتعلق إحداها بتاريخ النبي (ص) والأئمة (عليهم السلام) والثانية بالمواريث، والثالثة بالزكاة، والأخيرة بالهندسة. وقد قال علي بن ميرزا أحمد في شعره: (وله شعر مستعذب الجنا، بديع المجتلى)، واعتبر السيد محمد باقر الموسوي الخوانساري أشعار الشيخ الحر العاملي فاخرة، وهذه نماذج منها:

قال في مدح النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام):

كيف تحظى بمجدك الأوصياء	وبه قد توسل الأنبياء
ما لخلق سوى للنبي وسبطيه	السعيدين هذه العلياء
فبكم آدم استغاث وقد	مسه بعد المسرة الضراء
يوم أمسى في الأرض فرداً غريباً	ونأت عنه عرسه حواء
وبكى نادماً على ما بدا منه	وجهد الصب الكئيب البكاء
فتلقى من ربه كلمات	شرفتها من ذكركم أسماء
فاستجيب الدعاء منه ولولا	ذكركم ما استجيب منه الدعاء

وقال رضي الله عنه يمدح النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) في همزية أخرى:

جدّ وجدي لفرقة وتنائي	عن ربى أرض مكة الغراء
وشجاني بعد الحجاز خصوصاً	عند بعدي عن طيبة الفيحاء

إلى أن يقول:

غال حزني مسرتي وابتهاجي	واصطلت مهجتي بنار الجفاء
لادكاري مصائبى وذنوبي	مع ليالي اللقا ويوم اللقاء
برحت بي شدائد قد أذاقتني	طعم الحمام والبرجاء
يا إلهي وسيدي ورجائي	فرج الهم واستجب لي دعائي
سيدي أنت أنت غاية قصدي	سيدي أنت أنت أقصى منائي
يا غياثي يا ملجأى يا معيني	يا مغيثي يا منقذى من بلائي
يا رجائي إذ لا يرام ويرجى	ملاذ به ينام رجائي
بك أرجو كشف الشدائد عني	وزوال البأساء والضراء
بنبي فاق الخلائق فضلاً	وعلي وولده الأوصياء

منبج الفضل مجمع العلياء
معدن الجود منهل للظما
جميع الأعداء والأولياء
أثبتته شهادة الأعداء
لا بمدح الملوك والأمراء
لا غنى عن ظبية غناء

مفرع الناس مرجع الخلق طراً
بحر علم وطود حلم رزين
إن تشك في فضل مجدهم فأسال
يشهدوا كلهم، فأكرم بفضل
بمدحي لهم تشاغل فكري
ذكرهم عندنا يلذ ويحللو

وقال في الأخلاق

ليس يدرية غير سمعي وقلبي
قط فضلاً عن صاحب ومحب
أعني الفوائد من غير ذنب

إن سر الصديق عندي مصون
لم أكن مطلعاً لسانى عليه
حكمه أنني أخلده في السجن

وقال رضى الله عنه في الوعظ:

وخذ في عبادة المعبود
في رضى الله غاية المجهود

لا تكن قانعاً من الدين بالدون
واجتهد في جهاد نفسك وابذل

وقال في الإرشاد

لا تك ممن يغتر بالجاه
لا عز إلا بطاعة الله

يا صاحب الجاه كن على حذر
فإن عز الدنيا كذلتها

وقال:

وأجمل من كتم الغرام التهتك
جزاء على حفظ المودة تسفك

كتم الهوى والحب بالقلب أملك
كتائب أبطال بهن دماؤنا

إلى أن يقول فيها:

أنارت فلا يخفي سناها المشكك
أجل وأعلى منه في الشرع مدرك
لكل الورى مولى فينسى ويترك
سواه، ومن ذا بعد ذاك يشكك

كرامات مولاي الوصي وولده
كلام النبي المصطفى حجة فهل
كفى قوله يوم الغدير بأنه
كما جاء في التنزيل ليس وليكم

وقال (رضي الله عنه) في قصيدة من مجموعته (مهور الحور) كلها تبدأ بالهاء وتنتهي به:

ولا منقذ من جوره تتوخاه

هو الحب لا فيه معين ترجاه

ثم يقول بعد الغزل:

إلى حب من لم يخلق الخلق لولاه
جوانب أفاق العلا بمحياه
وأول من لما دعا الخلق لباه

هداية رب العالمين قلوبنا
هلال نما فارتد بدرأ فأشرفت
هما علة للخلق، أعني محمدا

هل اختار خير المرسلين مؤاخياً	سواه، فأولاه الكمال وآخاه؟
هل اختار في يوم الغدير خليفة	سواه له حتى على الخلق ولأه؟
هدى لاح عن قول النبي وليكم	علي، مولى كل من كنت مولاه
هناك أتاه الوحي بلّغ ولا تخف	ومن كل ما تخشاه يعصمك الله
هنالك أبدى المصطفى بعض فضله	وباح بما قد كان للخوف أخفاه

وفاته

توفي الشيخ الحر العاملي في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ١١٠٤ هـ، عن إحدى وسبعين سنة، ودفن في إيوان الصحن الرضوي الشريف في مشهد المقدسة. قال الأمين: دفن في الصحن العتيق الشريف إلى جنب مدرسة ميرزا جعفر، وقبره معروف يزار (قدس سره ونور ضريحه).

وقد جدد بناء قبره قبل سنوات، وبنيت حجرته المدفون فيها بناءً جميلاً وعزلت عن المدرسة وزينت بالمرمر، فأصبح مزاره مورد الآلاف من زوار الإمام الرضا (ع)، يقرأون فيه لوحة نقش عليها سطور من حياته المباركة، التي حفلت بالماثر الكريمة، وانتهت بمجاورة إمام طيّب من أئمة أهل البيت النبوي المقدس (عليهم السلام).

ركن الأسرة

اقوال في الحياة الزوجية

من كتاب طرق مختصرة إلى المجد

للعامة السيد هادي المدرسي

جذوة العلاقة بين الزوجين قد تنطفئ فترة من الزمن، ولكن باستطاعتهم دائماً، اشعالها من جديد بثقاب المحبة.

- في الزواج لا نجاح لأحد الزوجين على حساب الآخر.. لأن الزواج شركة مشاعة فأما أن يربحا معاً أو تنهار الشركة على رأسيهما معاً.

- الزواج الناجح هو الذي يحاول فيه الزوجان أن ينتصرا به لا أن ينتصرا فيه.

- الصداقة الحميمة بين الزوجين تدعم العلاقة الزوجية أكثر مما تدعم العلاقة الزوجية الصداقة الحميمة بينهما.

- لكي تتمتع بزوجتك لابد أن تعرف كيف تجعلها تتمتع بك.

- النجاح في الزواج، يعوض عن كل فشل..

ولا يعوض النجاح في أي حق، عن الفشل في الزواج.

- في الزواج مشاكل لابد منها: غير أنها قابلة للحل - أما العزوبة فهي بذاتها مشكلة لا تحل.

- أحياناً يكون الزواج ثمرة الحب ..

وأحياناً يكون الحب ثمرة الزواج..

وفي الأول يرحل الزواج مع رحيل الحب، أما الثاني فالحب باق ما بقي الزواج.

- كما لا يوجد زواج رائع من دون جنس رائع..

كذلك لا يوجد جنس رائع من دون زواج رائع..

- الحياة الزوجية لا تعني العمل الجنسي فحسب..

ولكن الجنس يلعب الدور الرئيسي.

- الزواج بناء شامخ يقوم على أعمدة ثلاث:

المحبة..

والالتزام..

والتعاون.

- وفقدان أي واحدة من هذه الأعمدة يؤدي إلى انهيار البناء كله.
- لكي تكوني (عشيقـة زوجتك) المفضلة أبداً لابد أن تكوني صديقتـه الحميمة دائماً، ولكي تكوني كذلك لابد أن تنظري إلى الأمور من بؤبؤ عينه، وشحمة أذنيه وشغاف قلبه.
 - الزوجة الصالحة أمان في النفس وراحة في القلب، وسعادة في الحياة أما نقيضها فهي تعب في النفس، وجرح في القلب وشقاء بلا حدود.
 - الزوجة شريكة حياة، قبل أن تكون شريكة سرير، وهي سيدة البيت، وليست خادمة المطبخ، وصديقة الرحلة، وليست حصان العربة.
 - أكرم زوجتك لتتكرم بها، واسعدـها لتسعد بها، ومتعها لتتمتع بها، واقبل بها كما هي، لتقبل بك كما أنت.
 - لكي تتمتع بزواجك لابد أن تغلق قلبك على كل نساء العالم.
 - من أعظم نعم الله على النساء خلقه، للرجال...
 - كما أن من أعظم نعمه على الرجال، خلقه للنساء..

ركن الأسرة

الطلاق

(المقدمات - الأسباب - النتائج)

إن الأرقام التي نتحدث عن حالات الطلاق في المجتمع العربي والإسلامي - وأيضاً العالمي، غير عادية ومخيفة، فنسبة حالات الطلاق تقترب كثيراً من نصف حالات الزواج، وخصوصاً الطلاق الذي يتم بشكل سريع وقبل أن يكون الزواج قد وصل إلى حال الاستقرار.

إن حالات الطلاق المتفاقمة هذه لا بد وأن تنتج (جياً) من المطلقات إلى جانب الأعداد الكبيرة من العوانس اللاتي فاتهن قطار الزواج لأسباب عديدة، أو أعداد الشباب اللواتي لا يجدون فرصاً للزواج بسبب الحال الاقتصادية ومعاناة الشباب من العجز عن تأمين الحد الأدنى من متطلبات الزواج وفي مقدمتها السكن الذي أصبح مشكلة قائمة بحد ذاتها.

ولما كان الرجل في المجتمع العربي والإسلامي هو الضامن الأول لاستقرار العائلة، فهو مسؤول عن انهيارها بشكل أو بآخر، ولهذا فإن معظم النساء اللواتي يلجأن إلى المحاكم لطب التفريق، يكنّ في وضع لا يحسدن عليه، علماً إن الطلاق ينعكس سلباً على المرأة في مجتمع لا تزال النظرة فيه إليها تقليدية تحكمها القيم والآراء الموروثة.

وإذا كان الطلاق حلاً أحله الله للإنسان فهو أبغض الحلال، إذ كثيراً ما يخطئ الإنسان فيسئ استعماله بوعي أو من دون وعي، وهو الدواء المر الذي لا بد منه أحياناً وهو أيضاً أول الحلول السهلة التي تنطلق ببداية شرارة الغضب بين الزوجين، وقد يكون الرجل مزواجاً أو لأن المرأة لم تستطع المحافظة على بيتها أو لأسباب أخرى. كما إن الطلاق وإن كان أبغض الحلال عند الله إلا أنه وجد لحكمة، فأحياناً هناك موجبات تقتضي التفريق بين الزوجين لأسباب عامة أو خاصة تحتم انفصالها من أجل مصلحة كل منهما.

الأصل في الزواج

لا شك أن للزواج الناجح وبناء الأسرة السليمة مقدمات ضرورية هي بالحقيقة بمثابة الأسس لقيام بناء عائلي متين يعتمد العلاقات الإنسانية والعاطفية التي تشدها وتعززها بالود والمحبة.

وكما أن ديمومة الزواج وحيويته وبقاء وجهه يعتمد على مقدماته كذلك الطلاق فهو مرتبط في الأصل بالزواج ومقدماته، فإذا قام الزواج على أسس صحيحة لن يحدث الطلاق.

إن كيان الزوجية يعتمد في الأساس على (الرجل - المرأة) كشخص، فكلمة الباحثين تتفق على أن الاستعداد

للزواج يتأثر أكثر ما يتأثر بالمحيط الذي ينشأ فيه الزوجان، وبالرغم من الاستثناءات يمكن الجزم بأن مستقبل الاتحاد الزوجي سيكون ذات يوم أسعد حالاً وأكثر استقراراً، إذا نشأ الزوجان في محيط عائلي يكون فيه الوالدان سعيدين ومتفقيين، وترتبط أفراد الأسرة علاقات الحب والمودة ووشائج الرحمة، وقد اتاحا - الوالدان - لأبنائهما أن يترعرعوا في شروط سليمة وصالحة.

وقد درس (لويس م. ترومان) (الشروط النفسية للسعادة الزوجية ووجد أن طائفة من صفات السجيا تعمل على اخفاق الحياة الزوجية وتفككها وهدمها وهذه الصفات هي (فرط الحساسية، السجيا الكنيية، الأمزجة العصبية، التصرف الشرس القاسي، فقدان النظام، شدة التأثر المسرف بالمدح والقدح، الشك في الذات، الطغيان حيال الجنس الآخر غياب الاهتمام بالأفراد الآخرين، زيف الموقف الديني، الاندفاع المضطرب إلى الكحول أو الجنس، تقلب المزاج بدون سبب صريح)(١).

ومن هنا يجب أن يتم - وقبل الاقدام على الزواج - التاني والدقة بالملاحظة في اختيار القرين الذي هو (شريك الحياة).

فمن خلال الاطلاع على احاديث النبي الأكرم (ص) وما روي عن المعصومين (ع) نجد أن هناك جملة مما يستحب اختياره من صفات (النساء او الرجال) ومما يستحب اجتنابه من صفات (النساء أو الرجال) فقد روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): (اختاروا لنطفكم فان الخال أحد الضجيعين)(٢).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) أيها الناس إياكم وخضراء الدمن، قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء)(٣).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله): (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)(٤).

قال أبو عبد الله (عليه السلام): (من زوج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها)(٥).

محطات أخرى

كما أن هناك محطات أخرى لابد من التوقف عندها لضمان أكبر ما يمكن من نسب النجاح في بناء كيان عائلي وديمومته مثل:

١ - توفر عنصر التكافؤ والتوافق الثقافي والفكري، فلاريب في أن الاعتقادات الدينية والثقافات والآداب والتقاليد والعادات الحسنة تترك آثاراً معينة على نمط العلاقة بين الزوجين ونظراتهما إلى الحياة وطريقة

١ - تحديث الأسرة والزواج، ص ١٧٤، الدكتور عادل العوا.

٢ - الفقه، الشيرازي، كتاب الآداب والسنن، ج ٩٧ ص ١٥١.

٣ - الفقه، الشيرازي، كتاب الآداب والسنن، ج ٩٧، ص ١٥٢.

٤ - الفقه، الشيرازي، كتاب الآداب والسنن، ج ٩٧، ص ١٧٣.

٥ - الفقه، الشيرازي، كتاب الآداب والسنن، ج ٩٧، ص ١٧٤.

الاستفادة من الإمكانيات التي بأيديهما.

إلا أن الحكمة والعقل يوجبان أن نعرف بأن التفاوت في هذه الأمور بين الزوجين لا يستلزم الشجار والاختلاف بل ينبغي للعقل أن يتعامل مع المفارقات الطبيعية معاملة حكيمة.

ومن هنا فعليه أن ينظر إلى هذه الاختلافات بأنها يكمل بعضها بعضاً. فالوجود من حولنا متكون من عناصر مختلفة، ولكنها مكمل بعضها على أحسن وجه، فلا بد للزوجين أن لا يتركا لاختلافاتهما الطبيعية مجالاً لنسف جسور التفاهم والتوافق.

ومما يساعد على التفاهم والحد من تصاعد الاختلافات الزوجية، أن يعطي كل من الزوجين حق إبداء الرأي للآخر، فلعله سيقنع بوجهة نظره ويقرب المسافات بينهما، كما وأنه سيتم التلاقي في منطقة المبادئ والقيم والقوانين التي اتفق على صحتها الشرع والعقل والمنطق.

كما أنه من الواجب علينا أن نعلم بأن التفاوت بين الناس عموماً وبين الزوجين خصوصاً جزء من سنة الابتلاء، فعوضاً عن التفكير في الهروب منها أو الغوص في الكآبة والتآكل النفسي يجب أن نتعلم حسن التصرف مع هذه السنة الإلهية، وإن الزواج شركة تتطلب التضحية من كل طرف للطرف الآخر مما يخدم المصلحة العامة لهذا الكيان الزوجي فلا بد من غض النظر عن الأخطاء التي قد تحدث وكف الأذى وكظم الغيظ. لقد دعا نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلى أن يغفر الزوج أخطاء زوجته ولو تكررت في اليوم سبعين مرة، ففي الحديث (إن رجلاً سأل (صلى الله عليه وآله) عن حق الزوجة على الزوج؟ فقال له: يستر عورتها بالكسوة، ويشبع بطنها بالأكل ويغفر لها إذا جهلت. فسأله رجل: وكم مرة يغفر؟ فقال (ص): في كل يوم سبعين مرة(١).

٢ - كما من اللازم الالتفات إلى التفاوت بالعمر بين الزوج والزوجة، فقد جرى العرف اليوم على أن تقارب العمر بين الزوجين ضرورة ملحة لأن به يحصل التكافؤ الثقافي وتوافق الاهتمامات الهوايات، وكذلك يضمن توفير العطاء اللازم من كل طرف للآخر بما يلبي حاجاته واشباع غرائزه.

كما أن من يرى أن التفاوت الملحوظ في العمر، يشكل أرضية للخلافات الزوجية، وأنه يعني قرب وفاة الأكبر سناً وترمل الثاني، خاصة إذا كانت الزوجة شابة والرجل كبير في السن.

ولكن عموماً لابد من وجود حالات استثنائية كثيرة تكون فيها الحياة الزوجية في غاية السعادة والابتهاج رغم وجود الفوارق في الثقافة والميول والعمر.

٣ - إن غلاء المهور والمبالغة فيها، بات موضوع تنافس بين الناس، ولا يراد منه إلا التباهي والمفاخرة، مما يجعل ذلك السبب الأساسي في العجز عن الزواج ومشاكل أخرى خطيرة.

إن المظاهر المادية الصارخة كغلاء المهور والجمال الظاهري وغيرها قد سادت حياة المسلمين على قدر مساحة الغياب عن المفاهيم المعنوية.

إن الإسلام نهى عن غلاء المهور ويوضح فقد قال النبي الأكرم (ص): (لاتغالوا بمهور النساء فتكون

عداوة(١).

من هنا فإن غلاء المهور عمل غير صالح، فالعائلة المسلمة التي تتخذ في مهور بناتها سبيلاً لتحقيق سعادتها متجهة عكس ما تريد، فإنها بالمغالطات تجلب على بناتها العداوة والشقاء فقد ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): (أفضل نساء امتي احسنهن وجهاً وأقلهن مهراً)(٢).
وعنه (صلى الله عليه وآله): (إن من تزوج امرأة لمالها وكله الله إليه، ومن تزوجها لجمالها رأى فيها ما يكره، ومن تزوجها لدينها جمع الله له ذلك)(٣).

تبدد الأحلام

ما من أحد يتزوج إلا وهو يحلم بالسعادة، ويتصور أن الزواج هو الجنة الموعودة حيث الأمان والهناء، وبمرور الأيام ولأسباب عديدة يتحول الزواج إلى واقع روتيني ممل، ويصاب الزوجان بخيبة أمل مريرة، ويأخذ كل منهما بالقاء المسؤولية على الآخر، واتهامه بالتقصير والتغيير، وعند ذلك إما أن يرضيا بالعيش معاً في هذا الجو المميت، وإما أن ينفصلا.

ولابد من الإشارة إلى ضرورة عدم تحميل رباط الزواج فوق ما يحتمل، فالزواج ليس نصاً انشائياً نتفنن في تزويقه بالكلمات والجمل والعبارات المزخرفة، انه عالم نصنعه بأيدينا وواقع نرفع بنيانه حجراً حجراً، وكلما أحسنا هندسته وتأسيسه، كلما اقتربنا أكثر من مرحلة تحقيق احلامنا وضمن سعادتنا.
والعلاقة الزوجية هي علاقة بشرية بين فردين، وهي معرضة كثيراً للمشاكل والاهتزاز ولن تكون بمنأى عن الانفعالات والتقلبات، وهو حال معظم مفاصل الحياة.

ولكن إن من المهم أن نواجه هذه المشاكل ولا نهزم امامها، وان نعد السلاح الأمضى لمواجهة مثل هذه المشاكل، إلا وهو الحكمة، ولكلا الزوجين، فلا يبالغان في التعاطي مع المشكلة وتضخيمها فلو حدثت ازمت وتعثرت مسيرة الزوجين، وافتقد الإنس والهناء في حياتهما فالمشكلة لا تحل بالقاء أحد الطرفين التبعات على الطرف الآخر، بل من الممكن التوصل إلى الحلول المناسبة لمنع حدوث هذه الأمور، فمن المهم جداً أن لا ينسب أو يتناسيا انهما شخصان وليس شخص واحد، وان كلاً منهما هو ربيب بيئة اجتماعية معينة قد تختلف عن بيئة شريكه، ولابد لكل ذلك أن يكون له الأثر الواضح في العلاقات بينهما وفي العادات والمزاج والتفكير.

فبدلاً من أن يتمسك بعاداته وطباعه من الضروري أن يسعى مع الآخر إلى التقليل من خطورة هذا الخلاف الموجود بينهما على حياتهما المشتركة، ويبحثان وبكل مثابرة وصبر وب عقلية متفتحة وهادئة وبكل حب ومودة ورحمة، عن أفضل الأشكال لحياتهما معاً.

إذ انه وكما أن الفرد يسعى في حياته العملية لمواجهة أية مشكلة أو عقبة تواجهه ويجهد لتجاوزها فعليه أن يواجه المشاكل التي تواجهه في حياته الزوجية ويسعى لإيجاد الحلول لها ولا يتهرب أو ينفر من مواجهتها.

١ - بحار الأنوار: ج ١٠٣، ص ٣٥١.

٢ - بحار الأنوار: ج ١٠٣، ص ٢٣٧.

٣ - سعادة الحياة الزوجية، البحراني ص ٢٥.

أسباب الطلاق

يرى الإمام الشيرازي (قده) في أن كثرة حوادث الطلاق في هذا النصف الأخير من القرن الماضي وليدة أمور عديدة فالانتخاب العشوائي لشريك الحياة وانتشار ظاهرة التبرج والاختلاط والمجون وضعف الوازع الديني والأخلاقي والابتعاد عن منهج الإسلام.

ومن خلال الدراسات والبحوث التي اجراها علماء النفس والاجتماع فيما يتعلق بأسباب الطلاق نستخلص انه لا سعادة إلا بالإسلام، فكل ما اقتربت منه وصار منهجاً للحياة ودستوراً فقد ادرك السعادة والهناء وعاش الحياة. فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وهو الأعرف به وبخصائصه المختلفة وبميوله وغرائزه واهتماماته، فأرسل الأنبياء مبشرين ومنذرين ومبلغين بالكتاب الذي أنزله عليهم، فهو قاموس الحياة والإنسان والكون، فكما أن مع كل جهاز يوضع دليل يوضح كيفية تشغيله والعمل به وفيما إذا حدث خلل فيه أو تعثر عمله نرجع إليه، كذلك القرآن الكريم هو دليل الإنسان الذي أنزله الله ليعرف الإنسان نفسه والكون الذي يعيش فيه وكيف يتعامل هذا الإنسان مع الحوادث والأمور ومع غرائزه وشهواته ومع نفسه ومع غيره. فلا عاصم عن الخطأ والزلل والاحتراف والضنك إلا باتخاذ القرآن سلوكاً وطريقاً.

قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا).

وقال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب).

ومن خلال الاطلاع على قضايا الطلاق في المحاكم الشرعية أو الحكومية ومن خلال الدراسات والاحصائيات تنحصر اغلب حوادث الطلاق بالأسباب التالية:

١ - الشك في عفاف الزوجة

ذكرنا في بداية الحديث عن ضرورة الاهتمام بالسؤال عن أخلاق المرأة (زوجة المستقبل) ولعل العفة هي جوهر المرأة وكنزها الحقيقي، ومن هنا يجب على الزوجين أن يزرع كل طرف منهما الثقة في الطرف الآخر وتجاهه، وبالأخص على المرأة إذ عليها أن تزرع الثقة في قلب زوجها وان تبتعد عن كل ما يثير الشكوك ويلهم التوقعات والاحتمالات.

كما انه ومن جانب - آخر فان تشكيك الزوج - غير الصحيح والمبني على الأوهام - بزوجه وعدم الاطمئنان اليها، هو في الحقيقة كالنار في الهشيم، إذ انه من أهم عوامل انهيار العلاقة الزوجية التي تؤدي حتماً إلى الطلاق.

يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن)(١). وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): (لاغنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال وهن: صيانة نفسها عن كل دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها حال المحبوب والمكروه، وحياطته

١ - نهج البلاغة، باب الحكم، رقم: ١٦٠.

ليكون ذلك عاطفاً عليها عند ذلة تكون فيها..(١).

٢ - انحراف الزوج

إن صلاح الزوج والذي هو عميد البيت الزوجي والأسرة هو الرصيد الحقيقي لضمان صلاح الأسرة وتماسكها واستقرارها والعكس بالعكس.

فإذا علمت الزوجة زوجها الانحراف الخلقي، فهذا يعني انه بداية لحدوث تصدعات وانهيارات جارفة لكل مشاعر الحب والمودة التي تربطهما كزوجين، أضف إلى ما هنالك من آثار (وضعية) لهذه الذنوب.

فقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله أوحى إلى موسى (عليه السلام): (لاتزنوا فترزني نساؤكم، ومن وطأ فراش امرء مسلم وطئ فراشه كما تدين تدان)(٢).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (عقوا عن نساء الناس تعف نساؤكم)(٣).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (فيما أوصى الله إلى موسى (عليه السلام): (من زنى زني به ولو في العقب من بعده)(٤).

ومن هنا فإذا انحراف الزوج اخلاقياً فإنه يؤدي إلى انحراف العائلة وسوف تتفكك وأقرب وضع إلى ذلك هو الطلاق.

٣ - تدخل أهل الزوجين

إن كثيراً من المشاكل التي تحدث بين الزوجين يكون سببها تدخل أهل الزوجين، وغالباً ما يكون التدخل من أهل الزوج في شؤون الزوجة نتيجة للغيرة - ربما - من أم الزوج أو أخته أو حتى والده وذلك عندما يهتم الزوج - ويبالغ في اهتمامه - بزوجه أو يتدخلون في شؤون ولدهم الخاصة مع زوجته.

والمفروض أن يكون أهل الزوج والزوجة عوناً وسنداً لابنائهم في حفظ كيانهم الزوجي واعانتهم في حل مشاكلهم واستقرار حياتهم.

وكذلك الأزواج عليهم أن يتمتعوا بالاستقلالية ورجاحة العقل والحكمة في تدبير الأمور وحسن المعاشرة والمدارة.

فعن النبي (صلى الله عليه وآله): إن خير نساكم الولود، الودود، العفيفة، العزيزة في أهلها الذليلة مع بعلمها)(٥).

ومعنى الذليلة هنا، أن تنقاد إلى زوجها وتتبعه وترى نفسها أقل منه لتكوين احساس داخل الأسرة بان لها

١ - ميزان الحكمة ج ٢ ص ٢١.

٢ - الوسائل، كتاب النكاح، باب ٣١ من أبواب النكاح المحرم ح ٢٠.

٣ - ميزان الحكمة ج ٤ ص ٢٤٦ عن البحار ج ٧ ص ١٩.

٤ - الوسائل كتاب النكاح باب ٣١ من أبواب النكاح المحرم ح ٢.

٥ - الوسائل كتاب النكاح باب ٦ من مقدمات النكاح ح ١.

ربان واحد وبقيّة الأفراد سند وعون عندها لن يكون أمام الزوج إلا احترام زوجته أن يهتم بها ويزداد في حبه لها.

٤- تدخل أحد الزوجين في شؤون الآخر

وكما للزوج فللزوجة حقوقها المالية والمعنوية والعائلية وغيرها. فقد يكون للزوجة مال، أو تعمل ولها مرتبات شهرية فلها حق التصرف فيه كيف تشاء، ولا يحق للزوج أن يتدخل في شؤونها. ومن الخطأ الكبير أن يتصور الزوج أن له الحق، التدخل في جميع شؤون حياة زوجته، فهذا التصور عند الرجل يؤدي إلى ظلم المرأة كأن يجبرها على أكل معين أو النوم أو اليقظة في وقت محدد، أو أن يجبرها على الانجاب وغير ذلك من الأمور ونفس الشيء للرجل عند المرأة، فليس للمرأة حق الاعتراض عليه أو تجبره في كيفية السكن أو شكله أو نوع العمل الذي يعمل كما أنه من حقه الاحتفاظ بأسراره الخاصة التي يرى أنه من الضروري أن لا يعرفها أحد.

فمن المهم الانفتاح بين الزوجين كما ينبغي التفاهم بينهما وتكريس مبدأ التشاور وإبداء الرأي والاستماع بذهنية متفتحة للرأي الآخر على أن يكون كل ذلك في أجواء الحب والمودة.

٥ - كثرة الجدل

إن الجدل عقيم ومهما كان ومع أي طرف فهو مذموم، وأقل نتائجه هي العداوة والبغضاء بين الطرفين، كما أن له تداعيات سيئة ومقيدة على الفرد والمجتمع، وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام):
(اياكم والجدل فانه يورث الشك)(١).

فالجدل بين الزوجين من افتك الافات التي تصيب الحياة الزوجية وتجعلها أقرب ما يكون إلى التداعي والانهيار.

إن الدافع الأول للجدل وأيضاً الهدف الحقيقي له هو حب الظهور والغاء الآخر وهذا هو مكنم الخطر ولذلك فإن نتائج الجدل بين الزوجين تكون عكسية ووخيمة، إذ عادة ما ينتقل المجادل من حالة الرزاة والعقلانية إلى اللانضباط والانفعالية وفقدان السيطرة على النفس حينما يواجه رأياً مخالفاً لرأيه ويتحول إلى كلب عقور.

يقول أحد المفكرين: (إذا حاولت وتحديت، فأما أن تنتصر أو يغلب عليك خصمك، فإذا ما اسعفك الفوز، فانه يكون فوزاً اجوف، انه يجعلك تخسر حسن علاقتك مع الذي تجادله وقلما تكسب الاثنين معاً الفوز وحسن العلاقة، أما إذا غلبك خصمك فأنت خاسر على كل حال)(٢).

وقد يكون سبب الجدل وما بعده من خصومة هو أمور تافهة. ومن الممكن للزوجين أن يتجنبوا كل ذلك، يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (الخصومة تمحق الدين)(٣).

١ - ميزان الحكمة ج ٢ ص ٢١.

٢ - كيف تكسب الاصدقاء ص ٤٨.

٣ - شرح ابن أبي الحديد.

٦ - كشف أسرار قبل الزواج

إن من الأمور الخطيرة التي تعصف بالحياة الزوجية وتؤدي إلى انهيارها والطلاق هو كشف الأسرار التي وقعت من الزوجين قبل الزواج.

إذ إن بعض النساء تلج على زوجها بأن يخبرها عن علاقاته غير المشروعة أو حتى المشروعة قبل الزواج وقد يضطر الزوج إلى اخبارها نتيجة الحاحها، فتصبح تلك الأخبار كقنبلة موقوتة بيد الزوجة، تفجرها متى ما شاءت، وقد تقضي بها على كيان الأسرة بالكامل. وعموماً فإن تلك (الاعترافات) من الزوج لابد وان تחדش قلب المرأة وعواطفها تجاه زوجها.

وكذلك بالنسبة للرجل، فكثير من الرجال يحاول أن يتعرف على علاقات زوجته - إذا كانت موجودة - قبل الزواج، فيعمل على خداعها بمختلف الوسائل للحصول على اعترافات منها بحجة المصارحة وأن مشاعر الحب التي تربطهما أقوى من أن تؤثر عليها ذكريات غابرة، فتتخدع تلك المرأة البسيطة فتخبره بعلاقات (غير شرعية) وقعت لها في بداية حياتها، وقد ترفقها - الاعترافات - بتقديم الاعتذار له مبررة ذلك انها لم تأت إلا عن نزوة وجهل، ولا تدري أن ذلك لا يجدي نفعاً، فنار الغيرة والشك قد اشتعلت في قلبه، واصبح هاجسه عدم الاطمئنان لها، فيكون نتيجة ذلك نشوب النزاع والسجال والخلاف، مما يؤدي إلى انهيار العلاقة الزوجية، وقد وقعت في هذا الخطأ العديد من النساء اللاتي أدى بهن إلى الطلاق وبدون رغبة منهن.

والمفروض على الزوج (أو الزوجة) عندما يريد أن يتزوج أن يتعرف على الزوجة التي يريد أن يتزوجها حتى يطمئن لذلك، فبعد الزواج لا ينبغي له أن يوقع زوجته في أحابيل ونتائج غير مرضية، وقد يكون ذلك من مصاديق قوله تعالى: (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) المائدة: ١٠١.

٧ - عصبية الرجل

كثير من الرجال يتصور أن رجولته وعظمته وسيطرته على زوجته حتى يخضعها إليه، انما يكون بالعصبية والشدّة والصرامة وعدم التنازل عن أي شيء ولو كان صغيراً أو تافهاً.

وقد يكون الرجل خارج البيت هادئ الطباع مرناً في علاقاته مع الآخرين، ولكنه في البيت يتحول إلى ذئب ضار مع زوجته واطفاله.

إن المرأة كائن حساس وسريع التأثر والتبدل، كما انها وبما تنطوي عليه من عواطف جياشة واهواء ورغبات كثيراً ما تكون قائمة على تصورات وأوهام وعادات اجتماعية أو تربية معينة.

ومن هنا فإن الرجل يحتاج إلى أن يتعامل مع زوجته بطريقة دبلوماسية فكما لا يجوز أن يترك الأمور وتمسك زمامها الزوجة، وتكون هي ربة الأسرة والمسؤول الأول فيها، كذلك لا يجوز أن يكون الرجل ذنباً ضارياً وعتيداً في صغير الأمور وكبيرها حتى وان كان مخطئاً أو مقصراً أو على باطل ويصر على كل ذلك حتى يثبت رجولته. وهي ليست من الرجولة في شيء وإنما هو من الجهل والتخلف.

٨ - الواجبات الزوجية

إن في الحياة الزوجية حقوقاً وواجبات، فكما أن للزوج حقوق فإن عليه واجبات تجاه زوجته، وكذلك الزوجة تجاه زوجها.

ومن الضروري أن يعرف كل من الزوجين مالهما من حقوق وما عليهما من واجبات، وهي أمور واضحة حددها الشرع وشدد عليها الإسلام وحذر من التهاون فيها أو التغافل عنها.

فهناك واجبات يتكفل بها الزوج تجاه زوجته، مثل: النفقة والسكن والملبس والقيام بشؤونها وحمايتها، كذلك هناك واجبات على الزوجة تجاه زوجها، إذ يجب عليها أن تسمع لزوجها وتطيعه.

ولعل الجانب (الجنسي) يشكل العامل المهم في توطيد عرى العلاقة الزوجية وتأجيح العواطف ومشاريع الحب والود والرحمة، فعلى الزوج والزوجة أن يعطيا هذا الجانب ما يستحقه من اهتمام. فلهذا المحور الأهم والأكثر فعالية في الحفاظ على حيوية الحياة الزوجية ووهجها.

٩ - غيرة المرأة

بعض الزوجات تصاب بالغيرة، فتعمل على مضايقة زوجها بالسؤال عن كل التفاصيل في تصرفاته من قول وعمل، مما يؤدي إلى حدوث توتر في العلاقة ونفور وغالباً ما تكون هذه الغيرة عن محبة تكنها الزوجة لزوجها.

سئل الإمام الصادق (ع) عن المرأة التي تغار على الرجل حتى تؤذيه فقال (ع): (ذلك من الحب) (١). وقد تكون الغيرة ناشئة من الحسد، يقول الباقر (عليه السلام): (غيرة النساء الحسد والحسد هو أصل الكفر، ان النساء إذا غرن غضبن، وإذا غضبن كفرن إلا المسلمات منهن) (٢).

ويقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل إيمان) (٣). فالغيرة الزائدة من المرأة تؤدي إلى تداعيات سيئة في العلاقة بين الزوجين، وقد تؤدي إلى الطلاق وقد نقل عن الأسود انه قال لابنته قبل زواجها: (إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق) (٤).

١٠ - سوء الخلق

إن التكبر والغطرسة والأنانية والظلم والعدوان والتجني والتجاهل وغيرها على الصفات الذميمة والتي يجمعها (سوء الخلق) والذي قد يكون عند الزوج أو الزوجة، هو أحد الأسباب التي تدمر العائلة وتمزقها وقد تؤدي بالزوجين إلى الطلاق.

١ - الكافي، كتاب النكاح، باب غيرة النساء، ج ٥، ص ٥٠٦، ح ٣.

٢ - الكافي، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ج ٥، ص ٥٠٦، ح ٤.

٣ - نهج البلاغة باب الحكم رقم: ١٢٦.

٤ - المرأة المثالية ص ٥٠.

إن الروايات التي تتحدث عن سوء خلق الزوج (أو الزوجة) والآثار الخطيرة المترتبة على ذلك كثيرة، ولعل أشهرها ما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) إذ قال: (أتى رسول الله (ص) فقيل له: إن سعد بن معاذ قد مات، فقام رسول الله (ص) وقام أصحابه معه، فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب، فلما حنط وكفن وحمل على سريره تبعه رسول الله (ص) بلا حذاء ولا رداء، فلما أن سوي التربة عليه، قالت أم سعد: يا سعد هنيئاً لك الجنة، فقال رسول الله (ص): يا أم سعد مه، لا تجزمي على ربك، فإن سعد قد أصابته ضمة - ولما سئل رسول الله (ص) عن سبب هذه الضمة - قال: نعم انه كان في خلقه مع أهله سوء) (١).

أضرار الطلاق

إن كل شيء في الحياة له جوانب ايجابية وسلبية يخضع ظهورها لشروط وظروف معينة، فكما الطلاق قد يكون ضرورة وآخر العلاج فهو أبغض الحلال عند الله.

ومن هنا يرى الإمام الشيرازي (قده) في الطلاق اضراراً بالغة مثل:

١ - اشاعة عدم الاحترام في المجتمع، حيث إن الزوجين ومن اليهما يأخذوه في تنقيص الآخر وذويه وذكر معاييبهما.

٢ - تعقد الرجل والمرأة، حيث إن الطلاق يحدث صدمة نفسية قوية، خصوصاً للطرف المظلوم، كما أن العقد النفسية لها آثار سيئة منها زرع حالة الانتقام والتوتر والتعقيد.

٣ - ضياع الأولاد وتعقدهم، فانه ليس مثل عش العائلة مكاناً آخر لتربية الأولاد، وضمان صحتهم الجسدية والنفسية.

لذا على الزوجين أن يعملوا بكل طاقة وجهد بما يحافظ على ديمومة الحياة الزوجية واستمرارها، وبنفس الوقت يعملوا على تجنب كل ما يثير الخلافات ويؤجج مشاعر البغض والكره والتباعد والنفور، وان يضعا نصب اعينهما أن الطلاق ليس هو (الحل) دائماً، فأغلبه بداية لمشكلة جديدة بل مشاكل.

فإذا واجهتنا مشكلة ما، فعلينا أولاً أن نفكر في تحجيمها ومن ثم حلها، ويجب أن لا ننسى أن المشاكل موجودة في كل مفصل من مفاصل الحياة، كما أن الزواج يقوم على شراكة حقيقية أكثر مما يقوم على حب حقيقي، كما أن أفضل حالات الزواج أن يصل الزوجان إلى الشعور بأن كل منهما جزء مستقل من الآخر في كيان واحد، وليس عنصراً محورياً في كيانين مختلفين. كما انه في العلاقات الزوجية، كل المشاكل قابلة للحل بسهولة، بشرط أن ينظر الزوجان إلى المشاكل على انها قضية أخذ وعطاء لا قضية انتصار وهزيمة.

ركن الأسرة

رؤية أخلاقية حول أسباب الطلاق

إن النفس الإنسانية، قادرة على اختيار طريقها والتميز بين الخير والشر، بما منحها الله من قدراته. وتلقي حرية الاختيار - هذه - على النفس، مسؤولية ضخمة هي مسؤولية الالتزام بنتائج ما تختاره من أنماط السلوك والاستجابات المتعددة ونوعية، الجزاء المنتظر بنوعية إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

قال الله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه) (ق: ١٦).

وقال تعالى: (من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) (الاسراء: ١٥).

إن مما يوحيه القرآن ومن خلال العديد من الآيات الكريمة. أن الله خلق النفس مستقيمة على الفطرة وزودها بالادوات التي تساعد على الاختيار وصدار القرار مما يجعلها قادرة على تحديد طريقها الذي قد يستقيم فيصل بها إلى مراتب التقوى والفلاح أو ينحرف فيهوي بها إلى حيث الضلال والفساد.

(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)(الشمس: ٧-٨)

الإنسان والمجتمع

إن الإنسان كائن اجتماعي يحتاج إلى الناس، يولد بينهم ويعيش معهم ويموت عندهم فهو في حاجة (دائماً) إليهم ولا بد له من أن يتفق معهم - مع وجود الاختلافات وتباين في وجهات النظر - للوصول إلى مرحلة التعاون المثمر معهم لضمان سعادته ورفاهيته والتي تصب في سعادة المجتمع ورفاهيته.

وقد سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحدهم يدعو فيقول: اللهم لا تجعل حاجتي عند أحد، فقال له (ص) قل: اللهم لا تجعل حاجتي عند لئيم.

كما يقول علماء الاجتماع (إن جميع الأعمال والسلوكيات التي تصدر منا في مراحل الصغر والصبا، بل وفي مرحلة الشباب والكبر - برغم مالنا من الاستقلال في الفكر والإرادة والعمل - متأثرة بالمجتمع والحياة الاجتماعية وذلك لتأثرنا بالآخرين في أغلب سلوكياتنا، إلا أننا بعد ذلك نسعى إلى تقبل مسؤولية أعمالنا بما يتناسب مع مدركاتنا وادتنا)(١).

وقد يتراعى لنا ظاهراً، أن الأعمال التي تصدر عنا تقوم على أساس ذوقنا الشخصي إلا أننا إذا دققنا النظر، أنها لا تستند بجمعها إلى الوظائف الفردية، وإنما أغلبها يصدر مراعاة للآخرين الذين قد تأثرنا بهم بشكل من الأشكال.

١ - الأخلاق وآداب التعامل مع الإسلام، د. علي قاسمي، ص ١٦.

كما أن الأسرة هي أساس في المجتمع، وليس هناك مجتمع بدون جماعات صغيرة متمثلة بالأسرة مهما اختلف الانسان أو تباينت طقوس الزواج أو المعاشرة وشروطها ومعاييرها، ومهما اختلف شكل الأسرة وحجمها.

ومن أجل أن يكون البناء سليماً جعل الله تعالى لبني آدم أزواجاً من جنسهم حتى تكون هناك ألفة ومودة ومحبة ورحمة بين الأزواج ورغبة في دوام الصحة واستمرار العشرة، كما رزقهم الله من طبيباته حتى يسهل لهم العيش ويكفل لهم الاستمرار والبقاء والتناسل والتكاثر: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم بنين وحفدة ورزقكم من الطبيبات) (النحل: ٢٢).

ومن أجل بناء أسرة قوية فقد شرع الله لها شرائع سماوية لحمايتها بحيث تبين للناس طرق الخطبة وعقد القران والصداق واشهار الزواج حتى يأخذ شكلاً قانونياً متفقاً عليه وملزماً للطرفين. ويؤدي كل ذلك احترام الحقوق والالتزام بالواجبات والاعتراف بثمار هذا الزواج الشرعي من بنين وأحفاد.

التغيرات والتبدلات

في الماضي كانت القوانين والضوابط والأخلاق والسنن والآداب والتقاليد الاجتماعية كأبنية محكمة التشديد، يمكنها أن تستقر وتصمد في المجتمع لسنوات طويلة حتى تتأكل لمرور الزمان عليها وتنهار من تلقاء نفسها. وتطور الصناعة والآلة، جعل من المجتمعات البشرية مناطق تكثر فيها الزلازل حيث تنهار المباني القانونية والأخلاقية الجديدة الواحدة تلو الأخرى.

فأخذت الأرض اثر التطورات الهائلة في ميادين الاتصالات والمعلوماتية شكل البيت الكبير واطلعت المجتمعات البشرية على أوضاع واحوال بعضها البعض وبدأت وسائل الإعلام المختلفة، بعرض أخلاق وآداب الشعوب البشرية أمام أنظار وعلى مسامع العالم وعن هذا الطريق تقتبس الشعوب وتقلد محاسن أخلاق الشعوب الأخرى ومساوئها، وفضائل عاداتها ورذائلها.

ومن هنا فإن حياة الإنسان الاجتماعية إذا استمرت على ما تفرضه الطبيعة عليها دون كبجها بالنظم والقوانين، فستقترب بأنواع النزاعات والصدمات والمنغصات، وعندها يغدو وجود القانون ضروريا وهنا تكمن حكمة بعث الأنبياء(١) قال تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) (البقرة: ١٣).

وعليه لابد من وجود قواعد وقوانين في المجتمع، يضطر جميع أفرادها إلى تنظيم اعمالهم وسلوكياتهم على أساسها، وبناء حياتهم الجماعية وفق تلك القوانين، لكي يتم وضع اطار عام لتحديد نوع الفعل والقول وطبيعة الأمور التي ينبغي اجتنابها أو فعلها.

ان ضرورة القوانين والضوابط ملحة، فيها وحدها ضمان امكانية الحياة السليمة إذ لا يمكن للمجتمع الذي يعيش أفرادها بحرية (لامحدودة)، إذ يعمل كل فرد فيه كل ما يرغب إليه أو يريده وما تمليه عليه أهواؤه وغرائزه، لا يمكن لهذا المجتمع أن يعيش بأمن وسلام وازدهار.

لا سيما انه من غير الممكن أن يكون المجتمع خالياً من العناصر التي تحاول الاعتداء على الآخرين بدافع المصلحة الشخصية، والغاء أي حضور للمصلحة العامة، لا يمنعه مانع من بناء سعادته ولو على تعاسة الآخرين.

لذا ولأن سعادة الفرد ترتبط بسعادة المجتمع، كما ان سعادة الفرد تعود في صالح سعادة المجتمع، إلا أن سعادة المجتمع - وهذا ما اتفق عليه أهل العقل - مقدمة على سعادة الفرد، فالمجتمع يحصل على قيمته واعتباره فيما إذا قدم الصالح العام في مجال الحق والفضيلة، وهذا لا يمكن حصوله إلا بأن تكون هناك قوانين وضوابط تحكم المجتمع وتحول دون حدوث اعتداءات واضطرابات وتسعى إلى معاقبة المعتدين لكي تحافظ على الصالح العام.

الكيان الزوجي

إن الأسرة تمثل بهيئتها وتركيبها وادارتها مجتمعاً صغيراً، وعليه فلا بد من كفاءة في الإدارة وأدوات ضبط (أخلاقية) وحسن معاملة وطفيان المصلحة العامة للأسرة والحياة الزوجية في التصرف والتفكير وذوبان الأنما في أجواء المودة والمحبة والتعاون والمشاركة في السراء والضراء. إذ ان الإخلال في ضبط الموازين والقيم التي تقوم على أساسها بناء العائلة وبقائها ونجاحها في اداء رسالتها في المجتمع لاشك سيؤدي إلى تفكك العائلة وانهيارها وبالتالي ستكون تداعياته السيئة واضحة النتائج على المجتمع.

فعلى سبيل المثال، تصاعد نسبة حالات الطلاق بشكل مخيف:

إذ ارتفعت في العالم الإسلامي بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ، ففي الكويت هناك حالة طلاق واحدة لكل ثلاث حالات زواج، وان ٢٩% من حالات الطلاق هذه تقع في السنة الأولى من الزواج و٦٧% منها تقع خلال الخمس سنوات الأولى، وفي مصر هناك أربع ملايين مطلقة مليونان منها مع وقف التنفيذ، وان نسبة الطلاق قد ارتفعت في السنوات الأخيرة إلى ٢٥% ونسبة فسخ الخطوبة قد ارتفعت إلى ١٥% في حين أن نسبة الزواج قد انخفضت إلى ٢٠%(١).

يقول الدكتور كارل (بات الكثير من الأشخاص في الوقت الراهن أقرب إلى الحياة الحيوانية، بحيث لا يفتشون إلا عن القيم المادية، ولهذا فان حياتهم أصبحت ارذل كثيراً من الحيوانات لأن القيم المعنوية هي وحدها القادرة على منح السعادة والنور)(٢).

كما انه وخاصة بالنسبة للمنحرفين تنعدم عندهم حدود الاحساس بمشاعر الآخرين وتنمو لديهم قابلية عدم الاكتراث بحقوق غيرهم، لأنه متحرر من أي نوع من العواطف الأخلاقية. فالعواطف في الحقيقة تشكل معياراً للقيم والأهداف والاحساسات فالفاسد والمنحرف عادة، هو الذي يقدم على القيام باعمال منحرفة منافية لمتطلبات المجتمع السليم، والأسوء من ذلك انه يضع قيمة أخلاقية لهذا العمل، ويخلق له المبررات لارتكابه.

١ - العائلة، السيد الشيرازي، ص ٩٩.

٢ - الشباب، محمد تقي فلسفي، ج ١، ص ١٣٦.

اصلاح النفس

لقد أنعم الله على الإنسان بنعمة العقل ومنحه حرية الاختيار والتصرف فهو قادر على التمييز بين الخبيث والطيب، والطالح والصالح وقد زاده الله - الإنسان - من فضله فبعث النبيين والمرسلين مبشرين ومنذرين. ومن هنا قد ألزم الله الإنسان بالحجة البالغة ويقول فصل، فلا عذر للإنسان في انحرافه وشذوذه وابتعاده عن الصراط المستقيم، وارتكابه للمحرمات والمخالفات وانسياقه لأهوانه ونزواته.

وعليه فالإنسان يستطيع أن يضبط ميوله بمعيار العقل والشرع، وإن يستخدمها في حدود المصلحة ففي سعادته، وكذلك يستطيع أن يكون عبد هواه ويتجاهل العقل والمصلحة، ويلقي بنفسه في الفساد والانحراف من خلال الإفراط أو التفريط في استخدام غرائزه لانعدام الإرادة وكبح ادوات الضبط وتغيب العقل والابتعاد عن النظرة الرشيدة للأمور في حالها ومآلها وآثارها ونتائجها ليرسم بذلك طريق شقائه وتعاسته يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

(من لم يهذب نفسه فضحه سوء العادة)(١).

وعنه (ع): (أعجز الناس من قدر على أن يزيل النقص عن نفسه ولم يفعل)(٢).

كما انه وبالإضافة إلى ذلك فإن مثل هذا الإنسان (المنحرف) يشكل عنصراً هداماً ومؤذياً وبنفس الوقت خطراً حقيقياً على المجتمع.

قال الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): (من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره)(٣).

وعليه فإن على هؤلاء المنحرفين أن يدرسوا انفسهم وخصالهم ويحددوا امراضهم (الأخلاقية) وذلك بالاستعانة بالعلماء والمتخصصين، ليبحثوا بعدها تلقائياً عن أسلوب العلاج وأيضاً عليهم أن يجهدوا أنفسهم للابتعاد عن سيئات الأخلاق.

يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (كلما زاد علم الرجل زاد عنايته بنفسه وبذل في رياضتها وصلاحها جهده)(٤).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (أقصر نفسك عما يضرها من قبل أن تفارقك واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك، فإن نفسك رهينة بعملك)(٥).

إن الله سبحانه وتعالى قد فتح أمام المخلوقات سبيل السمو والتكامل، مع فارق أن الحيوانات تعرف طريق كمالها بادراكها الطبيعي، وبدافع حاجتها الغريزية، إذ أنها تسير نحوه دون ارادة منها وتبلغه سواء شاءت أم ابت.

١ - غرر الحكم ودرر الكلم: الآمدي: ص ٧١٩.

٢ - مستدرک الوسائل: النوري ٢: ٣١٠.

٣ - تحف العقول، الحراني: ٤٨٣.

٤ - مستدرک الوسائل، النوري ٢: ٣١٠.

٥ - وسائل الشيعة، العاملي ٤: ٤٠.

لكن الإنسان لا يميز بشكل طبيعي وغريزي سبيل سعادته وإنما عليه أن يبحث ويستعين بعقله ليبلغ مقصده (فاستقم كما أمرت).

الإيمان والأخلاق

لقد بعث الله تعالى النبي الأكرم محمد (ص) رحمة للعالمين وكانت بعثته خاتمة البعثات، فقد جاء رسول الله (ص) بدين الإسلام لسعادة الإنسان وحلاً لكل مشاكله وكل ما يضمن له الحياة الحرة الكريمة الهانئة في الدنيا والنجاة والفوز في الآخرة.

وقد كان محور بعثته (ص) هو مكارم الأخلاق (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وقد ارتبط الإيمان والأخلاق ارتباطاً وثيقاً، إذ اعتبر الإسلام أخلاق الناس معياراً لإيمانهم كما أن الأخلاق الأفضل هي دليل الإيمان الأكمل.

قال النبي الأكرم (ص): (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ولطفهم بأهله) (١).

ومن هنا فإن الأخلاق الحقيقية، هي التي تستند على احترام الضمير فاحترام الضمير الأخلاقي ليس سبباً للحرية والاستقرار الاجتماعي فقط وإنما منشأ الاستقرار النفسي أيضاً.

فمكارم الأخلاق والخصال الإنسانية هي من الأركان الأساسية لسعادة الإنسان ونجاحه في حياته الاجتماعية. لذا فإن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام)، اعتبروا التخلق بالأخلاق الكريمة ضرورة لضمان استقامة المجتمعات البشرية، بغض النظر عن الشأن الديني والإيمان بالثواب والعقاب الإلهي.

عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: (لو كنا لا نرجو جنة ولا نخشى ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها مما تدل على سبيل النجاح) (٢).

الإسلام والزواج

إن الإسلام ينفي وجود أي تناقض أو اختلاف بين الزواج والالتزام بمتطلباته المادية والمعنوية والجانب الإيماني للإنسان في علاقته بربه، بل أنه يعتبر أنه من السعادة أن يحظى الرجل بامرأة طاهرة كوسيلة لحفظ الدين ووقايته، ويؤكد على أن عبادة المتزوجين من الرجال والنساء عند الله أفضل بمرات من عبادة العزاب.

إذ يرى الإسلام أن الروابط بين الزوجين تقوم على أسس وضوابط منها:

١ - الاحترام: قال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم) الإسراء: ٧٠.

٢ - المحبة والمودة: قال تعالى: (وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم: ٢١.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (قول الرجل للمرأة إني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً).

٣ - الكلمة الطيبة: فالكلمة الطيبة هي الأرضية لزرع السكون والهدوء والثقة المتبادلة يقول (صلى الله عليه وآله): (الكلمة الطيبة حسنة).

٤ - المواساة والتفاهم: من الضروري إحساس الزوجين بأنهما كيان واحد، فأما أن يسعدا معاً أو أن يعيشا

١ - المحجة البيضاء، الكاشاني، ٣: ٩٨.

٢ - مستدرک الوسائل، النوري / ٢: ٢٨٣.

الأخلاق في الحياة الزوجية

ولما كان محمد (صلى الله عليه وآله) النبي الخاتم وقد ارسله بالإسلام مبشراً ونذيراً، فقد جعل في الإسلام الحلول الناجحة والسليمة لكل مشاكلنا، ولما كان محور البعثة المحمدية هو إتمام مكارم الأخلاق من هنا فان محاسن الأخلاق ومكارمها هي الحل، ولعل مشكلة الطلاق بين الرجل والمرأة راجعة إلى ذلك، فان محور الأسباب التي تؤدي إلى ذلك هو تغييب الأخلاق الكريمة في العلاقة الزوجية.

إن أن الأخلاق الحميدة، هي ركن أساسي في التعايش الأفضل في محيط الأسرة والمجتمع، وعلى هذا فان الزواج، يكون محكم القواعد مستقر الأركان إذا ما كانت تربية الزوجين صالحة حسنة وبينهما توافق أخلاقي لا تتغلغل إليه موانع هدامة أخرى حينئذ ستستقر الحياة الزوجية وإلى آخر العمر على الحب والصفاء، ويحترم كل طرف حق الطرف الآخر ويتمتعاً بحياة سعيدة هانئة.

ومن هنا فان الإيمان والأخلاق عند الرجل والمرأة هما شرطان أساسيان للزواج المستقر والذي ينعم فيه الزوجان بحياة هانئة وسعيدة.

فان الالتزام بالتعاليم الإلهية والعمل بالضوابط الأخلاقية من شأنه أن يشيد بناء الزواج على أساس صحيح ويوفر رابطة مستحكمة بين الزوجين نادراً ما تؤول إلى الطلاق والانفصال.

قال رجل للإمام الحسن (عليه السلام): إن لي ابنة فمن ترى أن أزوجهـا له؟

قال (عليه السلام): (زوجها ممن يتقي الله عز وجل، فان أحبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها)(١)

وقد دعا نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلى أن يغفر الزوج أخطاء زوجته ولو تكررت في اليوم سبعين مرة، ففي الحديث: أن رجلاً سأل (صلى الله عليه وآله): (عن حق الزوجة على الزوج؟ فقال له يستر عورتها بالكسوة، ويشبع بطنها بالأكل، ويغفر لها إذا جهلت، فسأله الرجل، وكم مرة يغفر، فقال (صلى الله عليه وآله): في كل يوم سبعين مرة)(٢).

وعليه فان حصيلة الأخلاق ليست سوى سعادة الإنسان والحياة المفعمة بالأمن والثقة وأداء الواجب واعداد أسباب التكامل والنجاح.

إن المجتمع الإنساني، يمكنه في ظل الأخلاق أن يعزز روح الصداقة والتودد والتراحم، كما انه سيتمتع بالمقدرة على أن هداية المنحرفين وارشادهم إلى الطريق الصحيح.

فقيمة الأخلاق تتضح فيما إذا انعدمت في المجتمع، فيعمه الفساد ويتحكم به الفاسدون، عندها سيكون واضحاً وجلياً حجم الظلم والمأساة التي تحل في المجتمع، وأي سعادة سيحرم منها الإنسان وما أروع ما قيل:

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

١ - المستطرف في كل فن مستظرف، الأبيشي، ٢: ٢١٨.

٢ - مكارم الأخلاق، ص ٢١٦.

من أعلام الشيعة

هبة الدين الشهرستاني

ولادته

يزخر تاريخنا وتراثنا العلمي والفكري بالعديد من العلماء الأعلام الذي سخرُوا حياتهم لخدمة الدين وتقدم الإنسانية ورفعتهَا، ومنهم السيد هبة الدين الشهرستاني.

ولد السيد هبة الدين في سامراء عام ١٣٠١ هـ الموافق ١٨٨٣م. ونشأ في كنف أبوين صالحين ربياه على حب العلم والتقوى والورع ونما وترعرع في جو هيمن عليه زعيم ديني كبير هو المجدد محمد حسن الشيرازي (١٨١٤ - ١٨٩٥م) صاحب فتوى التنباك الشهيرة، التي جعلت الدوائر الاستعمارية تحسب للقيادات الدينية الوطنية ألف حساب، فحاولت ما استطاعت تعطيل دورها إما بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق صنائعها في العالم الإسلامي. وقد تأثر الفتى بتلك المواقف التي تربي النفوس على الاعتزاز والاعتداد، وربما تفتح في وعيه كيف يكون رجل الدين فوق رجل السلطة والسياسة، سيما وأنه كان يرى بيت المجدد الشيرازي أضْحَى قبلة العلماء والأحرار يتوجهون إليه من العراق والهند وإيران وغيرها من البلدان.

بعد وفاة المجدد الشيرازي انتقل السيد هبة الدين مع والده إلى كربلاء وهي موطن آبائه وأجداده، وبعد وفاة والده انتقل إلى النجف للدراسة فيها بتوجيه من أحد أصدقاء أبيه فتوطنها لمدة خمسة عشر عاماً. وكان تلميذاً يتوفر على ذكاء وقاد، فتقدم في دروسه ليكون واحداً من أبرز تلامذة أبي الأحرار الشيخ كاظم الطباطبائي اليزدي. (وقد بلغ مكانة سامية في العلم والفضل والأدب وشهد له عدد من العلماء بالاجتهاد).

وفي ذلك الوقت، فتح أبواب التدريس في العلوم الأربعة: البلاغة، المنطق والفلسفة، الهيئة والنجوم، وأصول الدين وفروعه. وكان السيد متحدثاً لبقاً، ومصوراً بارعاً، ومجدداً مبتكراً، فأقبلت عليه جموع الشباب المتعطش للعلم والمعرفة من الأسر النجفية المعروفة ومن أبناء الجاليات الأخرى لتغترف من معينه. وامتد طموحه ليتصل بالمجامع العلمية والنوادي الأدبية في البلاد العربية والإسلامية. فأخذت الصحف والمجلات والمطبوعات الحديثة تنهال عليه من كافة الأرجاء، مما ساهم بشكل فعال في ربط النجف بالعالم الخارجي لتحيط بما يحدث فيه من جديد.

(الهيئة والإسلام)

إن الموسوعية في علمية السيد الشهرستاني، وتنوع مصادر معرفته، ألقت بظلالها على كتبه من خلال اختلاف موضوعاتها وتعدد اهتماماتها، فمن أشهر ما صدر للسيد هبة الدين كتابه القيم (الهيئة والإسلام) عام ١٩٠٧م، أثبت فيه سبق الإسلام إلى اكتشاف قضايا مهمة في علم الفلك، كما نقض مبادئ الهيئة القديمة بأدلة

علمية قوية، فدلّ على تضلع مؤلفه في العلوم الطبيعية والرياضية فضلاً عن العلوم الشرعية والفلسفية. وأحدث هذا الكتاب في حينه صدى واسعاً في الأوساط العلمية، وانهالت الرسائل على مؤلفه من كبار علماء عصره، كما ترجم إلى لغات عدة كالفارسية والأوردية والإنجليزية.

السيد المجاهد

حينما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ بدأ دور مهم من حياة هذا المصلح، حيث برز كمجاهد ومناوئ صلب لجيوش الاحتلال الإنكليزي التي بدأت غزوها للعراق، وأعلن حينها علماء الشيعة الجهاد ضد الإنكليز، ودافعوا عن الدولة العثمانية رغم سياستها الطائفية الظالمة ضد الشيعة طيلة قرون، ولكنهم تناسوا جراحاتهم لأن الأمر دار بين دولة كافرة وأخرى مسلمة.

قاد السيد هبة الدين قوة من عشائر آل قتلّة وبني حسن والعوابد تحركت في أوائل محرم من عام ١٣٣٣ هـ عن طريق الفرات إلى أن ألتحق بالشعبية من الجناح الأيمن الذي كان في مقدمته الإمام المجاهد السيد محمد سعيد الحبوبى. وعند انكسار جيش الجهاد عاد إلى النجف وقد ألمّ به المرض. وفي هذه الفترة اتصل به القادة الأتراك وطلبوا منه رسم خطة لإعادة الكرة للجهاد عن طريق كوت الإمارة، وهكذا كان. فخاض السيد مع بقية العلماء والعشائر والجيش التركي معركة أخرى ضد الجيش الإنكليزي الغازي. وكان النصر حليفهم هذه المرة، حيث استطاعوا محاصرة الجيش الإنكليزي الغازي وأسر جميع أفرادهم وعددهم اثني عشر ألف رجل بالإضافة لقائده الجنرال (طاووزند).

وبعد احتلال الإنكليز العراق، أقام السيد الشهرستاني في كربلاء وأخذ يكوّن حلقات علمية في مدرسة باب السدرة يلقي فيها محاضرات في التفسير ويؤلف الكتب التي تشيد بهذا العلم وغيره، لكن سعيه في مقاومة الاحتلال لم يتوقف، وحينما حلّ الإمام محمد تقي الشيرازي في كربلاء اتصل به السيد هبة الدين ولازمه، ثم مثله لدى السير ولسون الحاكم السياسي البريطاني العام في العراق، لنقل مطالب العراقيين في الحرية والاستقلال، ولما لم ينفذ الإنكليز شيئاً من تلك المطالب أفتى الإمام الشيرازي بالثورة ضد الاحتلال، فانطلقت الرصاصات الأولى على الإنكليز في الرميثة لتكون إيذاناً بإعلان الثورة الشاملة التي عمت العراق من أقصاه إلى أقصاه، حيث سيطر الثوار على المدن المهمة، وهزموا الحكام الإنكليز وكونوا إدارات وطنية بعد معارك عنيفة وكبدوا الجيش المحتل خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات والأسرى، غير أن عدم تكافؤ ميزان القوى العسكرية بين الطرفين، ووفاء القائد الأعلى للثورة الإمام الشيرازي، وأسباب كثيرة أخرى لا مجال لتفصيلها أثر على معنويات الثورة، واستطاع الإنكليز اقتحام مدينتي كربلاء والنجف، وألقوا القبض على السيد الشهرستاني مع جمع من أصحابه وأرسل إلى الهندية (طويريج) ثم الحلة حيث بقي في السجن مدة تسعة أشهر. ويذكر الزركلي في (الأعلام) أن الإنجليز قد حكموا عليه بالإعدام، لكن أصدر بعدها الملك (جورج الخامس) ملك بريطانيا قراراً بالعفو العام فأطلق سراحه مع بقية المعتقلين.

السيد السياسي

بسبب التداعيات التي خلفتها ثورة العشرين وما آلت إليه الأحداث السياسية اضطر الإنكليز إلى قبول قيام

سلطة عراقية وطنية. وعندها رشح الملك فيصل بن الحسين كي يكون ملكاً للعراق حيث زار النجف ثم كربلاء والتقى الشهرستاني مع جمع من العلماء في الحرم الحسيني المطهر، وبعد وصوله إلى بغداد بدأت الاستعدادات لتشكيل أول وزارة عراقية بعد الحكم الوطني عام ١٩٢١ فطلب منه الملك فيصل الأول مؤكداً عليه قبول وزارة المعارف، فوافق بدافع الحرص على تربية النشء تربية إسلامية صحيحة، وشجعه على ذلك بعض رجال الدين، وحين استلم الوزارة بدأ برسم الخطط لتقليص النفوذ الإنكليزي في المعارف، واستبدال المناهج الأجنبية بالمناهج الدينية، لأن التعليم واحدة من النقاط الحساسة التي يهدف الاستعمار للسيطرة عليها وتوجيهها لصالحه. حينذاك كان لكل وزير عراقي مستشار بريطاني يدير الأمور من وراء الستار ففصل مستشاره (كابتن فاوول) دون باقي الوزراء، واختلف مع زملائه في ذلك. وحينما عرضت التوصيات بالانتداب كان المخالف الأول لبنوده، ولما لم يجد عوناً على تنفيذ تقريره الطويل بهذا الشأن فضل الاستقالة من وزارة عبد الرحمن النقيب.. غير ان الملك فيصل عاد وألح عليه بقبول رئاسة مجلس التمييز الشرعي الجعفري، لكنه اعتذر، بيد ان العلماء أصروا عليه بقبوله لكفائه فوافق بشرط أن ترفع درجة القضاء الجعفري من نواب قضاة إلى قضاة فأجيب طلبه وصدر الأمر بذلك. فاتجه إلى تنظيم هذا المجلس الذي هو الأول من نوعه وحدد موقف باقي المحاكم القضائية المرتبطة به، وانتخب مجموعة من الرجال الصالحين للانتساب إليه، وفي هذا الطور من حياته فاجأه القدر القاسي بذهاب بصره، فصمم على الاستقالة واعتزال العمل إلا ان المسؤولين لم يستغنوا عنه لحاجة السلطات القضائية له، وبقي يشغل هذا المنصب قرابة أربع عشرة سنة. وفي سنة ١٣٤٥هـ استقال من منصبه فرشح نائباً عن بغداد في البرلمان العراقي وبقي فيه حتى انحل.

وفاته

بقي السيد الشهرستاني في مدينة الكاظمية فأعاد صياغة مؤلفاته العلمية وإتمام ما لم يتمه كما أسس عام ١٣٦٠ هـ مكتبة الجوادين في الصحن الكاظمي الشريف، فنقل إليها كتبه وظل يضيف إليها حتى أصبحت من أكبر المكتبات وأغناها، وكان له فيها مكان خاص يستقبل زواره، وكانت توجه إليه الأسئلة المختلفة من شتى البلاد فيجب عليها، وجمعت بعض الأسئلة المختلفة وطبعت في كتاب. توفي رضوان الله عليه عام ١٩٦٧م، ودفن في الكاظمية.

المصادر

- ١ - مجلة النور، العدد (٧٤)، تموز ١٩٩٧.
- ٢ - طبقات أعلام الشيعة. آغا برزك الطهراني.
- ٣ - الأعلام. الزركلي.

مقالات

الأبعاد الاجتماعية للعبادات

نزار الموسوي

ما أكثر البحوث التي تمر علينا وهي تؤكد على أن الإنسان مدني واجتماعي بالطبع، وما هذه الظاهرة المشهودة - طبيعة الإنسان - إلا نتيجة قصوره عن سد الاحتياجات التي تكتنفه لوحده، لذلك كان لزاماً عليه أن يعيش الحياة الاجتماعية. ولما كان الإسلام نظاماً عالمياً لا يختص بجماعة معينة ولا بزمان أو مكان محددين، فإن تعاليمه تتجه نحو الإنسان الطبيعي الذي يحمل كل مواصفات الإنسان الأصلية، أي غير ناظر إلى جنسيته أو لونه أو جنسه أو سنه أو عمله. فالإنسان الطبيعي هو الذي يمتلك فطرة الله التي فطر الناس عليها، أي الفطرة التي تلوث بالأوهام والخرافات، فيصبح الإنسان غير طبيعي. وهذه التعاليم التي شرعها الإسلام لتنظيم الحياة الإنسانية جميعاً، لم يشرعها جزافاً بل ليرتقي بها الإنسان إلى قمة التكامل. لذلك تناول طبيعة العلاقة بين الإنسان وخالقه، الإنسان ونفسه والإنسان والمجتمع و... والجانب الاجتماعي عادة يتناول هذا الفرد الأخير من العلاقات بالخصوص.

فالحياة في نظر الإسلام، هي تراحم وتواد وتعاون وتكامل محدد الأسس مقرر النظم بين المسلمين على وجه خاص وبين جميع أفراد الإنسانية بوجه عام، فالإسلام وكما يقول العلماء ينقسم إلى خمسة أقسام هي الأصول، وهي التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد، والعبادات: كالصوم، والصلاة، والحج، والزكاة، و... والمعاملات: كالبيع، والرهن، و... والأخلاق: كالصدق، والكذب، والأمانة، و... والأحكام: كالحدود، والقصاص، والديات، ونحن هنا في هذا البحث سوف نتناول واحداً من هذه الأقسام الخمسة وفي بعد واحد من أبعاده، وهو البعد الاجتماعي في العبادات علماً أن العبادات في الإسلام وكما جرت العادة بين العلماء بتعدادها بعشر وهي: الصوم، والصلاة، والحج، والزكاة، والخمس، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتولي، والتبري، وإنشاء الله سوف نتناول في البحث هنا ثلاثاً من خمس دعائم من عشر فرائض - العبادات - بني الإسلام عليها وهي الصلاة والزكاة والحج - مع فسخ المجال لأخرى إن سمح البحث بذلك - وكما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان).

مع التنبيه إلى أن الأقسام الخمسة سألقة الذكر - الأصول - العبادات - المعاملات - الأخلاق - الأحكام - في الإسلام متداخلة فيما بينها، فمن الممكن أن يكون فرد من أفراد العبادة كالصلاة مثلاً هو خلقاً وعبادةً وحكماً ومعاملةً وإنما جرت العادة بين العلماء على تقسيمها هذا التقسيم السطحي المشار إليه، وفيما يلي نورد ما أشرنا إليه في المقدمة تباعاً.

١ - الصلاة

هي لون من ألوان الابتهاال إلى الله تبارك وتعالى وهي عبادة مشتركة بين الديانات فكلمة الصلاة لم يستحدثها الإسلام بل استعملها العرب قبل الإسلام بمعنى الدعاء والاستغفار، وهي مشتقة من الصلة، لأنها تصل الإنسان بخالقه وتقربه من رحمة ربه، أما الإسلام فقد أطلق لفظ الصلاة على الصورة المعهودة من العبادة التي علمها الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى المسلمين، وهي أقوال وأفعال يقصد بها تعظيم الله تعالى مفتوحة بالتكبير (الله أكبر) ومختتمة بالتسليم (السلام عليكم) بشروط خاصة وضعها لذلك، وللصلاة منزلة كبرى في الإسلام لا تعادلها أية عبادة أخرى. فالصلاة عماد الدين، إن قبلت قبل ما سواها. وإن ردت رد ما سواها وفي الحديث عن علي (عليه السلام) أنه قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن عمود الدين الصلاة وهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم فإن صحت، نظر في عمله وإن لم تصح لم ينظر في بقية عمله)(١) وهي كما يقال أول عبادة فرضت على المسلمين وكان ذلك في مكة قبل الهجرة بنحو سنة ونصف السنة، ولتعظيمها، فقد فرضت وحدها في السماء ليلة الإسراء والمعراج بمخاطبة الرسول (صلى الله عليه وآله) بها، فكان ذلك دليلاً على عناية الله بها(٢). ونتيجة لهذا فقد اهتم بها الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى أوصى الآباء بأن يأمرُوا أولادهم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين ويضربوهم على تركها إذا بلغوا عشرة فقال: مَرُوا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر سنين وفرقوا بينهم بالمضاجع(٣)، ويجب التنبيه على أن هذا الاهتمام بالصلاة لم يكن فقط في الإسلام بل أيضاً في الشرائع الأخرى بدليل ما جاء في القرآن الكريم على لسان إبراهيم (عليه السلام) داعياً ربه ((رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي...)) (٤)، وكذلك ما جاء في القرآن مشيراً إلى إسماعيل (عليه السلام) ((وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا)) (٥)، وعيسى (عليه السلام) أيضاً يتحدث بنعمة الله فيقول: كما جاء في القرآن ((وَجَعَلْنِي مُبَارِكاً أينَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا)) (٦)، ومن هذه المقدمة نفهم أن التركيز على الصلاة لم يكن إلا للأهمية القصوى والفائدة الكبرى التي تنتج عن الالتزام بهذه الفريضة، وفيما يلي سوف نركز على الجانب الاجتماعي للصلاة مع التنويه إلى بعض الجوانب الأخرى في سياق الحديث:

١- الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. وفلسفة ذلك تتمثل بما للصلاة في الإسلام ولما تحتويه من مراقبة من الله تعالى وقيام وسجود له، وما تشتمل عليه من معاني القربة لله تربط المصلي بخالقه وتشعره بعلو مكانته في نظر نفسه حتى يرى من آثار الكرامة ما يستقذر معه الإتيان بالقبائح، فكلما حدثته نفسه بإتيان منكر أو عمل

١ - ح ٩٣٦ تهذيب الأحكام ج ٢.

٢ - روح الصلاة في الإسلام ص ٢٦.

٣ - سنن أبي داود.

٤ - سورة إبراهيم آية ٤٠.

٥ - سورة مريم آية ٥٥.

٦ - سورة مريم ٣١ ج ١ ص ٢٤٢ ح ٤٩٥.

قبيح، هتف به نداء من أعماق النفس: ((مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُقْلِحُ الظَّالِمُونَ))^(١) فإذا كان الإنسان يمتنع عن ارتكاب أية مخالفة إذا كان يعلم انه سوف يلتقي بشخص يعلم سريرته ويرى علايته كي لا يسقط في نظره فكيف به وهو يقابل ملك الملوك خالق السموات والأرض الذي بيده الموت والحياة، خمس مرّات كل يوم، فالصلاة - إذا قبلت - هي تطهير للإنسان من الذنوب ليذهب إلى لقاء الله تعالى نقياً طاهراً فعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن الباقر (عليه السلام) انه قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لو كان على باب دار أحدكم نهر فاغتسل في كل يوم خمس مرّات أكان يبقى في جسده شيء من الدرن؟ قلنا لا، قال: فإن مثل الصلاة كمثل النهر الجاري، كلما صلى صلاة كفرت ما بينها من الذنوب)^(٢).

٢ - الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، وتشيع الإلفة والهدوء في المجتمع. فالمصلي الذي يقف بين يدي الله عارفاً بحقه لا يظلم ولا يؤذي ولا يحتكر ولا يأكل أموال الناس بالباطل، وفي قصة ذكرها السيد محمد الشيرازي (دام ظله)^(٣) مؤداها انه قبل أربعين عاماً أعطى مهندس روسي مسيحي للعمال الإيرانيين المسلمين الذين خالفوا أمره والتزموا بالصلاة في وقت الظهر أكثر من الذين تركوا الصلاة وقت الظهر ففسر ذلك بقوله رداً على اعتراضهم: إن إعراضهم عن رواتبهم يدل على رسوخ دينهم في أفئدتهم، ومثل هؤلاء لا يخونون العمل، فأنا على يقين منهم وفي شك من الذين تركوا الصلاة.

٣ - الصلاة وسيلة لتعارف المؤمنين وإزالة الحقد والغل من قلوبهم. فالصلاة كما تقام فرادى تقام أيضاً جماعة، والثانية لها ثلاثة أقسام، فمنها ما هو فرض عين كصلاة الجمعة، وفرض كفاية كصلاة الجنازة واستحباب مؤكد كصلاة العيدين، والصلاة بكلا قسميها: المفردة والجماعة، هي عملية استلهاً واستمداداً روحي يتزود بها الإنسان زاداً من الإيمان والصبر والحكمة ليتغلب على ما يصادفه من هموم وقلق يؤثر على صحته وعقله ونفسيته، إلا أن صلاة الجماعة بالخصوص هي وسيلة لتعارف المؤمنين وإزالة الحقد من قلوبهم وهدم الفوارق الاجتماعية فيما بينهم. فالمسلمون يقفون جميعاً في الصلاة جنباً إلى جنب لا فرق بين رئيس ومروّس وغني وفقير، وأسود وأبيض فالجميع بين يدي الله يتقربون إلى الله بطاعتهم لا بأموالهم وجاههم، كلهم يخاطبون الله ويعترفون له بالعبودية ويطلبون منه الهداية قائلين ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ))^(٤) فالصلاة هي دعوة إلى المساواة والإخاء البشري، وهذه الدعوة إذا لم تخرج من حيز النظرية إلى التطبيق تكون دعوة كاذبة وهذا هو الملاحظ حالياً في أكبر وأكثر دول العالم تطوراً تكنولوجياً والتي تدعي الديمقراطية والحرية والمساواة، فهي أمريكا، إن ابرز ما يشغلها هو التمييز العنصري الذي بدوره يعتبر أكبر خطر يهدد كيانها ويودي بحضارتها فكما حصل قبل فترة من الزمن من ثورات قام بها الزنوج أدت إلى إحراق المساكن والمخازن. ها هو يحصل اليوم ثانية في مهاجمة اقتصادها وتهديد سكانها - إنما هو ناشئ من سياستها في التمييز بين أبناء المجتمع بينما التشريع الإسلامي حارب هذه الفوارق الاجتماعية وحطمها، ووحد

١ - سورة يوسف آية ٢٣.

٢ - تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٢٣٧ ح ٩٢٨.

٣ - عبادات الإسلام.

٤ - سورة الفاتحة آية ٥-٦.

بين المسلمين كافة وذلك بتشريع الصلاة وخاصة الجماعة التي أشاعت بين المسلمين روح الإخاء والمساواة والمحبة.

٢ - الزكاة

الزكاة في اللغة بمعنى النمو والطهارة ويقول آية الله المنتظري (١) (هي ظاهرة في النماء بدليل قول الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة (المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق) (٢) وفي الطهارة بدليل قوله تعالى ((يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ...)) (٣) و((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)) (٤)).

أما في الاصطلاح فيمكن ملاحظة كلا المعنيين فيه، إذ بالزكاة ينمو المال، ويظهر المال وصاحبه، لكن الأنسب هو المعنى الثاني بقرينة قوله تعالى ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ...)) (٥).

وأيضاً عرفت اصطلاحاً: بأنها قدر مخصوص يطلب إخراجها من المال بشروط خاصة، والزكاة هي أيضاً ليست من مخترعات الإسلام بل كانت مشرعة في الأديان السابقة بدليل قوله تعالى يحكي عن عيسى (عليه السلام) ((وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا)) (٦).

وفي حلقة ترابط العبادات قال الإمام علي (عليه السلام) (لا يقبل الله الصلاة ممن منع الزكاة) (٧) وفي وصية للإمام الصادق (عليه السلام) قال: (أوصي ولدي وأهلي وجميع المؤمنين والمؤمنات بتقوى الله - ربهم - الله الله بالزكاة فإنها تطفئ غضب ربكم) (٨).

فالزكاة بالإضافة إلى هذا لها تأثير اجتماعي كبير، ودور مهم في إصلاح المجتمع حيث إن أهم ميزة في هذه الفريضة هي معالجة مشكلة الفقر وحفظ التوازن في المجتمعات، فإن أقل ما يفعله الفقر بالإنسان هو الغيظ والحسد للأثرياء، الأمر الذي به يختل التوازن بين أبناء الأمة وكثيراً ما تحدث الثورات والاضطرابات لهذه الأسباب.

فالإسلام حل هذه المشكلة من جذورها بتشريعاته الحكيمة إذ أخرج من أموال الأغنياء لسد حاجة الفقراء في جو من العطف والحنان والمساواة. وقد ترجم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الحالة بقوله: (استغن عن شنت تكن نظيره، واحسن إلى من شنت تكن أميره، واحتج إلى من شنت تكن أسيره) (٩).

١ - كتاب الزكاة ج ١ ص ٩.

٢ - نهج البلاغة ج ٤ ص ٣٦.

٣ - سورة آل عمران ١٦٤.

٤ - سورة الشمس ٩.

٥ - سورة التوبة ١٠٣.

٦ - سورة مريم ٣١.

٧ - مستدرک الوسائل ج ٧ ص ٨ ح ٧٤٩٠.

٨ - مستدرک الوسائل ج ٧ ح ٧٤٩٣.

٩ - غرر الحكم ص ١١٣ ج ٥ ٢٤٠ عن عبادات الاسلام.

فالزكاة تقلل الهوة بين الغني والفقير - لأنه بعدمها يبقى الفقير على فقره، ولا يزداد الثري إلا ثراءً - وتحقق الاستقرار فهي تمتاز بالثبات فلا تتغير ولا تختلف وإن اختلفت الظروف، ولا تتأرجح وإن اضطربت الأحوال، لأنها من وضع حكيم عادل مطلع على الحاجات بصير بالأحوال رؤوف بالناس رحيم، وعند ما نقول إن الزكاة هي حفظ للمجتمع من الاضطرابات واختلال التوازن الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع ليس من عندنا بل هذا مأخوذ من كلام الأنمة (عليهم السلام) فقد سأل أحدهم الإمام الرضا (عليه السلام) عن علة الزكاة فأجاب: (من أجل قوة الفقراء وتحسين أموال الأغنياء لأن الله تعالى كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى، كما قال الله تعالى: ((تَبْلُغُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ...)) (١) في أموالكم إخراج الزكاة وفي أنفسكم توطين الأنفس على الصبر...)) (٢) وعليه فالحقائق التاريخية تثبت أن الفقر في العصر الإسلامي أصبح حديثاً ينقل وليس حقيقة ملموسة وذلك من خلال ظهور كلمة لعل في الحديث المروي عن الإمام أمير المؤمنين (ع) القائل (ولعل هناك بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص ولا عهد له بالشبع) (٣) بينما اليوم وبسبب ابتعاد الناس عن الإسلام وفريضة الزكاة بالذات نرى المناطق الغنية متخمة في حين يموت الفقراء جوعاً كما هو الحال في أفريقيا.

نذكر هنا قصة حدثت في التاريخ أيام الحكم الإسلامي، توضح مدى الفارق بين الحكم الإسلامي والحكم الوضعي ودور الزكاة - العبادات - في إصلاح المجتمع ملخصها:

أرسل والي الصدقات في أفريقيا إلى عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي يقول له: لم يبق فقير محتاج في أفريقيا وبيت مال الصدقات ممتلئ فأرسل إليه عمر بن عبد العزيز يأمره بأن يسدد الديون عن المدينين، فسد ديون الناس حتى لم يبق دين يستحق السداد، ثم أرسل إلى الخليفة أيضاً بأنه مازال في بيت المال الصدقات الكثيرة، فأمره بأن يشتري العبيد ويعتقهم (٤). ومما تقدم نعلم مدى أهمية الزكاة في المجتمع فمشكلة الفقر من أهم الأمور التي عالجها الإسلام بالزكاة. ولو نظرنا إلى الموارد التي تصرف فيها الزكاة لعرفنا حقاً الإبعاد الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية لهذه الفريضة.

يقول الله تعالى بخصوص تقسيم الأصناف التي شرعت لها الزكاة ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) (٥).

أما الفقير، كما ذكره الدكتور زهير الأعرجي: (هو الفرد الذي لا يملك مؤونة سنته اللانقة بحاله وبعياله والمؤونة السنوية هي ما تكفي الفرد وبياله من المواد الغذائية الأساسية واللباس، والسكن لمدة سنة) (٦) وأما

١ - سورة آل عمران آية ١٨٦.

٢ - الوسائل ج ٩ ص ١٢.

٣ - نهج البلاغة ص ٤٧٢ ح ٣.

٤ - عبادات الإسلام ص ١٦٢.

٥ - سورة التوبة آية ٦٠.

٦ - العدالة الاجتماعية ص ٩١.

المسكين وكما قال الإمام الباقر (عليه السلام) عنه: (الفقير الذي لا يسأل، والمسكين الذي هو أجهد منه الذي يسأل)(١).

أما باقي الأصناف فهي مذكورة في مضانها في الكتب الفقهية فما دامت الزكاة تعالج كل هذه الحالات الاجتماعية فهل يوجد بعد ذلك تكافل اجتماعي أكثر من هذا.

٣ - الحج

الحج كما هو مذكور(٢)، من أعظم شعائر الإسلام وأفضل ما يتقرب به إلى الملك العالم لما فيه من إذلال النفس، وإتعايب البدن وهجران الأهل، والتغرب عن الوطن ورفض العادات السيئة وترك اللذات والشهوات... فهو رياضة نفسانية، وطاعة مالية وعبادة بدنية قولية وفعلية، وهذا من خصوصيات الحج إذ لم تجتمع هذه الجوانب في غيره من العبادات والطاعات.

وفي خبر الكاهلي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو أحد الجهادين وهو جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء، أما انه ليس شيء أفضل من الحج إلا الصلاة...(٣) وكما تقدم في بداية البحث ذكر بعض الفوائد الاجتماعية للصلاة نذكر هنا أيضاً بعض الفوائد الاجتماعية للحج وكما يلي:

١- مصدر قوة للمسلمين

كما هو معروف، إن الإنسان يختلف عن غيره من المخلوقات بأنه اجتماعي في طبعه وهذه الاجتماعية تتمثل في الاحتفالات والاجتماعات التي يتبادل فيها الناس الآراء ويكتسب فيها الإنسان الخبرات الواسعة وتزدهر فيها الحضارة وتتقدم البشرية، والإسلام كغيره من الأديان يبحث عن الاجتماع، بل أولى هذه المسألة أهمية قصوى لما لها من فوائد جمة تعود على الإسلام والمسلمين، لذلك وسع من دائرة الاجتماع إلى اجتماع كبير وعام يشمل الأسود والأبيض، الشرقي والغربي، الغني والفقير، من غير فرق بين البلدان والمناصب والأعمار، وذلك من خلال فريضة الحج التي هي واجبة على كل مستطيع بالغ عاقل مخلى السرب - الطريق -. هذا الاجتماع العام الشامل السنوي وهذه التظاهرة الجماهيرية العامة هي نواة قوة المسلمين فمن خلالها تقوى الأواصر الإسلامية وتستحكم الصلات البشرية ويباشر فيه المسلمون أمورهم ويحلون مشاكلهم وعلى هذا الأساس نرى دول العالم اليوم تعمل المؤتمرات المشابهة لهذه التظاهرة كي تعود عليها بالقوة والهيبة. إن تجمع المسلمين بهذه الأعداد الهائلة في بيت الله الحرام يشعر الحاج بقوة الإسلام والمسلمين في الوقت الذي يعيش فيه ملايين من المسلمين حالة الضعف والانهزام النفسي لكثرة ما يحيط بهم من الكفار والملحدين والمحاربة المستمرة لهم.

١ - الوسائل ج ٩ ص ٢١٠ ح ١١٨٥٧.

٢ - الزبدة الفقهية في شرح الروضة البهية ص ٢٣٣.

٣ - نفس المصدر.

٢ - حماية المجتمع من الرذائل والموبقات

وفلسفة ذلك، أن الإنسان ميال في طبعه إلى حب الشهوات، فإذا ترك وحاله فإنه سوف يسير إلى الهاوية وعليه لابد لهذا الإنسان من مطهرات خارجية تؤمن له هذا الجانب. فالحج وما به من مناسك هو أداة لتربية النفس على الملكات الفاضلة وبه يغرس في ذهن الإنسان حب الخير والعدالة والإخاء والمساواة والأمن والهدوء والسكينة. والقرآن الكريم ينقل لنا هذه الحقيقة بقول الله تعالى فيه: ((فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)) (١).

٣ - أداة أو وسيلة لتعليم المسلمين على النظام

إن مناسك الحج المتبعة في هذه الفريضة تجعل جميع المسلمين في مظهر واحد بحيث إن الحاج أو الشاهد لموسم الحج يرى الحجاج يجتمعون في أماكن محددة وفي أوقات محددة. فكل منسك من مناسك الحج له وقت معين كعرفات والمشعر ومنى وكذلك في الطواف والسعي والرمي والحلق والذبح. فكل هذه المناسك وما يجري بها من حيث الدقة والالتزام والمماثلة تجعل في نفس المسلم ملكة لحب النظام. وبهذا العرض البسيط لهذه الفرائض الثلاث من العبادات نكون قد أوضحنا بعض الشيء الجانب الاجتماعي لها والله ولي التوفيق.

مصادر البحث

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - نهج البلاغة
- ٣ - روح الصلاة في الإسلام
- ٤ - تهذيب الأحكام
- ٥ - عبادات الإسلام
- ٦ - كتاب الزكاة
- ٧ - مستدرك الوسائل
- ٨ - الوسائل
- ٩ - العدالة الاجتماعية
- ١٠ - الزبدة الفقهية في شرح الروضة البهية
- ١١ - سنن أبي داود.

١ - سورة البقرة آية ١٩٧.

مقالات

المسلمون في كينيا

إعداد: جعفر محمد علي

دخول الإسلام إلى كينيا

يعود انتشار الإسلام في كينيا إلى عهود الإسلام الأولى، وكان الظهور الأول للمسلمين في الساحل الشرقي للقارة السوداء في زمن الخلفاء الراشدين، فنشأت حياة اجتماعية إسلامية منذ ذلك الحين، وقد أظهرت الحفريات في جزيرة ماندا على الساحل الكيني آثار مدينة إسلامية مزدهرة في القرن الثالث الهجري. كما قويت الأواصر بين سواحل الجزيرة العربية والساحل الأفريقي بعد بزوغ فجر الإسلام، ووصف الرحالة المسلمون كابن بطوطة والمسعودي أنواعاً من المدن والأقوام التي قطنت الساحل وأطلقوا عليهم اسم (السواحيليين) الذين كان كثير منهم عرباً مهاجرة، تركوا آثارهم في اللغة المحلية - السواحيلية - التي كانت تستعمل الحرف العربي في الكتابة حتى زمن قريب، كما استطاعوا تحويل الشاطئ الغربي للمحيط الهندي إلى ساحل إسلامي يمتد من السواحل الارتيرية والصومالية شمالاً حتى (سوفالا) المدينة الساحلية في جنوب موزمبيق والتي أعيدت تسميتها إلى (بيرا).

ويتحدث سكان المناطق الساحلية والغربية منها اللغة السواحلية وهي خليط من البانتو والعربية في حين تنتشر لغات متعددة في الجهات الداخلية تتحدثها القبائل وأهمها لغات البانيو.

دور الصوماليين في دخول الإسلام إلى كينيا

كان للامتداد القبلي عبر الحدود الشمالية مع الصومال المسلمة دور كبير في دخول الإسلام إلى كينيا. فقد اندفع الصوماليون من القرن الأفريقي باتجاه الجنوب حتى شمال كينيا، وبمرور الزمن ونتيجة اختلاطهم بأهل البلاد من الرحل تحولت مجموعات بشرية كاملة إلى الإسلام مثل (الرنديلي) و(البوران) و(الكالا) الذين يعدون اليوم مسلمين بنسبة ٩٠%.

وانتشر المسلمون في المراكز البشرية في أعماق القارة السوداء كمستشارين، ومترجمين وأطباء وذوي مراكز قريبة من الزعماء التقليديين الأفارقة، مما زاد من اعتناق الإسلام وأعطاه مركز قوة وتأثير في تلك المناطق. وكانت أوغندا من أهم مراكز ذلك التأثير الذي برز في ديوان الحاكم المحلي (الكابكا) الذي كانت أسرته تصوم شهر رمضان وتؤدي بعض فرائض الإسلام كدليل على اعتناقها واحترامها له.

وهكذا كان شرق إفريقيا في أواخر القرن التاسع عشر قبيل الغزو الاستعماري الذي تسبقه عادة الحملات التنصيرية المنظمة، التي بدأ مسلمو القارة السوداء يحسون بأثرها ويتعرضون لضغطها منذ ذلك الوقت.

مسلمو كينيا تحت الاستعمار

عادت الحملات التبشيرية المنظمة إلى الظهور في أواسط القرن التاسع عشر، ووصلت طلائعها إلى كينيا وأوغندا في عام ١٨٧٠ ميلادي بعد ان فشلت إبان الحكم البرتغالي لشرق إفريقيا.

لقد أحس أولئك المبعوثون ان جهودهم لا جدوى لها دون معونة الأساطيل والقوى العسكرية، فتحالفت مؤسساتهم من جديد مع سلطات الاستعمار المباشر الذي دخل شرق إفريقيا مجدداً عام ١٨٨٠ بعد هزيمته قبل قرن من الزمان على يد المسلمين في زنجبار. وكان من أول ضحايا ذلك الحلف الخبيث، السلطنات المحلية المسلمة خاصة زنجبار، واشترك المستعمرون الألمان في تنزانيا مع الإنكليز في كينيا لتفكيك تلك السلطنة وإلغاء استقلالها. وأثارت تلك السياسات المشاعر الجياشة للمسلمين فاشتعلت حرب مقاومة عنيفة بين عامي ١٨٨٦ و ١٨٩٥ ميلادي، كما دارت رحى حرب دينية في اوغندا في الفترة ذاتها. وأدى ذلك إلى اعطاء مسلمي المنطقة مرتبة أدنى في اتفاقية اوغندا لعام ١٩٠٠ ميلادي. بينما أدت تلك السياسات في زنجبار إلى ظهور حركة مقاومة (ابو شيري) التي حاربت الألمان منذ عام ١٨٨٨ وقادها العرب بتأييد من الأفارقة المحليين. وأدت إلى حصار الساحل الشرقي لإفريقيا من قبل الأوروبيين لمنع وصول السلاح للمسلمين.

لقد كان لمسلمي كينيا موقفهم الرافض من هذه التطورات في منطقة الساحل، فقامت ثلاث انتفاضات ضد السلطة البريطانية منذ عام ١٨٩٠، فقدت (سلطنة ويتو) على أثرها استقلالها بعد فشلها في الانتصار على الغربيين.

واضطر البريطانيون إلى جلب قوات بحرية ضخمة للحيلولة دون انتصار ساحق عام ١٨٩٥ لمسلمي منظمة (مازوري) التي تحركت معها جميع مقاطعات كينيا حتى (مالندي) الساحلية. وبعد ذلك لم تبق للمسلمين أية سلطة سياسية مستقلة على الساحل الشرقي لإفريقيا بعد فشل ثورة (المازوري).

بقيت كينيا تحت الاستعمار المباشر لبريطانيا حتى عام ١٩٦١ وقد استثمرت الإدارة الاستعمارية المبشرين لإنشاء جيل من المثقفين المتغربين منحهم مواقع إدارية متقدمة وأصبحوا على رأس السلطة السياسية في البلاد. ونجح أسلوب ربط التعليم بالمؤسسات التبشيرية في منع انتشار التعليم الديني وإلغائه في كثير من المناطق. إذ امتنعت الإدارة الاستعمارية في العشرينات من القرن الماضي عن تعيين من يفتقد مؤهلات دراسة حديثة، فاضطر المسلمون المحليون إلى تسجيل أبنائهم في مدارس التبشير التي كانت تجبر الطلاب على دراسة مواد التنصير إضافة إلى المواد العلمية.

وظهر بذلك مصلحون في كينيا قاموا بأعمال مماثلة لإصلاحات الشيخ محمد عبدة وجمال الدين الأفغاني وكان أبرزهم الشيخ الأمين ابن علي المزوري الذي اصدر صحيفة (الإصلاح) باللغة العربية والسواحيلية لنشر أفكاره الإصلاحية في حقول الحياة المختلفة ودعا فيها إلى تضامن المسلمين في الشرق الإفريقي وأكد فيها على النظام الثقافي والتعليمي الإسلامي داعياً المسلمين إلى إنشاء مدارس يديرونها بأنفسهم تربى الجيل الجديد على الثقافة والدين الإسلامي. وطالب الشيخ المزوري أبناء كينيا بالمساهمة في الميدان الاقتصادي لاستعادة جزء من تأثيرهم في الشؤون المحلية، ونصحهم بإقامة الجسور مع مسلمي العالم بحثاً عن مصادر دعم وإسناد تعاونهم في صراعهم من أجل البقاء.

مسلمو كينيا اليوم

تختلف الإحصائيات حول عدد المسلمين في كينيا فتتراوح نسبتهم بين ٢٠ إلى ٣٥ % من عدد السكان. ويكون المسيحيون والوثنيون والملاحدة بقية السكان. ويتوزع المسلمون في أنحاء البلاد المختلفة ويمتد إلى غرب كينيا حيث تعتبر نسبة الزيادة البالغة ٤٠١ بالمائة من أعلى نسب زيادة السكان في العالم، وتفوق مثيلاتها في الصين والهند. ورغم ماضيهم المشرق ودورهم في مطلع هذا القرن، فهم الآن يعتبرون أفقر من اتباع بقية الأديان والطوائف الأخرى، وأقلهم ثقافة وتأثيراً في مجريات الأمور ولا يدل على وجودهم إلا صفحات الماضي التي ما زالت بارزة مثل الزي التقليدي لنساء كينيا المسمى (بوي بوي) الذي انتشر حتى بين غير المسلمين ويتميز بألوانه واحتفاظه ببعض صفات الحجاب الإسلامي.

ولفت الانتباه إلى حجم الأقلية الإسلامية هناك ما يحدث أثناء ذكرى المولد النبوي الشريف، إذ تقام احتفالات بالمناسبة في أنحاء كينيا ومراكز تجمع المسلمين. وفي شهر رمضان تغلق محلات الطعام أبوابها وتسود الأجواء الرمضانية.

المساجد والجمعيات الإسلامية

يوجد في كينيا أكثر من ٥٠٠٠ مسجد يتوزع الباقي في كل مدينة وقرية صغيرة كانت أو كبيرة، كما تنتشر الطرق الصوفية كالشاذلية والصالحية في الشمال التي يفتخر مريدوها بأنهم قادوا الحملات المتكررة للتخلص من السيطرة الاستعمارية إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وساهموا في إذكاء روح المقاومة بواسطة أفكارهم وتعاليمهم المستمدة من حياة الأولياء والصالحين والتركيز على طهارة النفس والزهد والخشونة في العيش.

وأسس المسلمون في كينيا بعض المؤسسات الاجتماعية والتعليمية منها الجمعية الخيرية الإسلامية، والاتحاد الوطني للمسلمين وجمعية الشبان المسلمين في نيروبي والمؤسسة الإسلامية، ومؤسسة القرآن الكريم في نيروبي وجمعية الشبان المسلمين في (ممباسة)، والجمعية الصومالية الباكستانية في (ممباسة) والجمعية النسائية العربية الإفريقية في (ممباسة) والجمعية الصومالية الإسلامية في نيروبي، والجماعة الإسلامية في نيروبي - وهي فرع للجماعة الإسلامية في باكستان وتضم الباكستانيين الذين ينتمون للجماعة. ويصل عدد الجمعيات إلى أكثر من ٥٢ جمعية. وعلى الرغم من كثرة عدد الجمعيات الإسلامية في كينيا، فإن جهود المسلمين هناك مبعثرة رغم وجود تنظيم يضم هذه الجمعيات يعرف باسم (المجلس الأعلى لمسلمي كينيا).

ورغم أن أعداد المسلمين كبيرة وتراثهم غني إلا أنهم لا زالوا يواجهون مشاكل كثيرة، إذ لا يوجد أي تنسيق بين طوائفهم المختلفة، كما واجهت كثير من المشاريع التعليمية والثقافية التأخير والتوقف بسبب النزاعات بين القائمين عليها.

كما تتعرض كثير من المساعدات التي تبعثها الدول الإسلامية من منطقة الخليج وشمال إفريقيا للتضييع بسبب الخلافات بين المؤسسات المختلفة أو التوجهات الشخصية التي تزدهر في ظل ظروف التأخر والضغط الخارجية من الجهات المتنفذة. ويشير بعض مسلمي كينيا إلى أن بإمكان بث روح جديدة في الحياة الإسلامية

في كينيا فيما إذا تم توحيد المسلمين ذوي الأصول العرقية المختلفة وكذلك تأهيل بعض المسلمين الكينيين من أصل أفريقي إلى مهمات كأئمة مساجد وحفاظ ومدرسين وكذلك تطوير خدمات بعض المؤسسات الإسلامية التي تقوم بأعمال التثقيف وبناء المدارس وإنشاء مساكن وملاجئ للأطفال المسلمين على غرار ما تفعله مؤسسات التبشير.

ان المسلمين في كينيا يثقون بحيوية الإسلام وقدرته على الاستمرار والامتداد رغم كل الصعوبات الطارئة كواحدة من أهم نقاط القوة في مشاريعهم المستقبلية للحفاظ على حياتهم الإسلامية في كينيا.

المصادر

- ١ - المسلمون في العالم، تاريخياً وجغرافياً. رأفت الشبّخ.
- ٢ - دائرة المعارف الإسلامية الشيعية. حسن الأمين.
- ٣ - جغرافية العالم، د. علي موسى.

قراءة في كتاب

وقتك حياتك

لسماحة السيد محمد العلوي

الوقت. ما الوقت؟ وهل عمر الإنسان إلا الوقت؟ وهل حياة الإنسان إلا الإبحار في الوقت من مرفأ الولادة إلى ميناء الموت؟

وللوقت بعد ذلك حسابان:

حساباً بالساعات والأيام والسنين، وآخر بالعمل، أي ما استغلّ من هذا الوقت بالعمل، وما كان من هذا العمل منتجاً، وهذا هو الحساب الأهم، فإنّ الذي يصنع الحياة هو الذي يعمل، والذي سيدخل الجنة بعد الموت يدخلها بالعمل.

وبذلك فإنّ الأكبر هو من عمل أكثر وانتج أكثر، ومن هنا جاءت أهمية هذا الكتاب (وقتك حياتك) لسماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد العلوي، فأهميته تأتي من أهمية الوقت وأهمية استغلاله وتحسين العادات، وتنظيم الحياة بما يفضي إلى استغلاله وعدم تضييعه مما يؤدي إلى إنتاج إنساني أكبر في وقت أقل. ويعرض سماحة السيد أفكاره في هذا الكتاب في خمسة فصول:

الفصل الأول:

يتحدث فيه عن مفهوم الوقت في الإسلام وعدم الغفلة واغتنام الفرص، فربح الإنسان ونجاحه الحقيقي محصور ومقصور في استغلاله لعامل الزمن، وفي التزام الحق وعمل الخير.

الفصل الثاني:

في أسباب تبديد الوقت وتضييعه، ويتساءل فيه المؤلف عن السبب الذي يعتق الإنسان ويوقف مسيرته نحو التقدم والتطور وصناعة المستقبل الحضاري المنشود على الرغم من إن طاقات الإنسان هائلة، ومجالات العمل والبناء والعطاء واسعة ومتنوعة.

الفصل الثالث:

في تنظيم أوقات النوم، والنوم المفيد لكي لا يطغى على أوقات العمل، ويشير فيه المؤلف إلى أن النوم وكثرته لا تصنع الحضارة، إذ الحضارات لا تصنع إلا بمزيد من السعي والعمل والعطاء ويقول: هل سمعت أن

شعباً نواماً صنع حضارة؟!
وهل سمعت أمة فارغة أقامت تقدماً؟!

الفصل الرابع:

في كيفية استثمار الوقت وتحديد غاية للحياة، واستغلال الوقت للوصول لتلك الغاية، ولأن الزمن متحرك، كانت ضرورة الاهتمام به واغتنامه في عمل الخير، وإلا فإنه كالسيف يقطع الإنسان إذا لم يقطعه، وأما من لا يبادر الزمن فيغتنمه، فلا يغفو الزمن له.

الفصل الخامس:

ويتعرض فيه المؤلف إلى أن الإنسان بحاجة إلى الراحة ولكن لا لذات الراحة، وإنما من أجل تجديد القوى، والعودة إلى العمل بنشاط وفعالية، ويستعرض فيه بعضاً من قواعد التوفيق بين العمل والراحة وتحديد كل منهما بما يخدم العمل المثمر لتحقيق الأهداف.

هذا الكتاب

عدد الصفحات : ٢٢٤

الحجم : صغير

طبعة : مزيدة ومنقحة

يطلب من : دار العلوم للطباعة والنشر

بريد إلكتروني : d-aloloum@ayna.com

حارة حريك - بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي

بيروت - لبنان

ص.ب: ١٣/٦٠٨٠ شوران

جولة الكلمة

هيئة القرآن الكريم

القرآن كتاب الحياة الذي لا ريب فيه، فيه هدى للناس وتبيان كل شيء والصراط المستقيم، وسعادة الدارين، والقرآن معجزة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) الخالدة، وقد أمر الله بتعظيمه بالقول والعمل، وجعل الاستماع له والإنصات من موجبات رحمته..

وقد تواترت الأحاديث الكثيرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) التي تحث الناس على الاهتمام بالقرآن قراءة وفهماً واستيعاباً وتفسيراً واتخاذاً كمنهج للحياة ولتنظيم العلاقة بين الإنسان وربه ومجتمعه ونفسه.

ولقد اهتم المسلمون كثيراً بالقرآن في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) وبعده، فقد تعلموه وعلموه وحفظوه وتفننوا في طباعته وخط آياته وزخرفة صفحاته.

كما أنشأت المؤسسات والجمعيات والهيئات لنشر القرآن وتعليمه وتفسير آياته والبحث في علومه وترويج ثقافته.

إن الحديث عن الهيئات والمؤسسات الخيرية يشغل مجاًلاً واسعاً من الاهتمام حيث إن هذه الهيئات وفرت بدورها الأرضية الواسعة لإحياء الشعائر الدينية وتهئية وإعداد نماذج متجددة من الرواد في هذا المجال من القراء والخطباء والأساتذة... ومن ضمن هذه الهيئات، هيئات حفظ وقراءة القرآن الكريم التي لها الدور الفعال في تنشئة جيل حافظ لكتاب الله المجيد. وتخريج ثلة من قراء القرآن، وتساهم في تعليم قواعد التجويد والقراءة، ومن هذه الهيئات نخص بالذكر (هيئة القرآن الكريم) التي تأسست كربلاء المقدسة عام ١٣٩٠هـ والموافق لعام ١٩٧٠م. وتغني هذه المؤسسة بإحياء الشعائر الدينية والاهتمام بالقرآن الكريم وحفظه وتلاوته. وإلى جانب نشاطاتها الثقافية، فإنها تهتم بالجانب الإنساني والاجتماعي، من خلال تقديم الخدمات الاجتماعية الإنسانية الممكنة في إعانة بعض العوائل الفقيرة، والمساعدة في توفير نفقات العلاج الطبي للمرضى المحتاجين.

أماكن المؤسسة

كانت أول بذرة لهذه المؤسسة في كربلاء المقدسة عام ١٣٩٠هـ ثم انتقل بعد التهجير القسري إلى إيران، وإلى الآن هي في قم المقدسة منذ أكثر من عشرين عاماً.

ومن الفعاليات التي دأبت الهيئة على رعايتها وإقامتها سنوياً وباستمرار، مذ كانت في العراق الحبيب وحتى اليوم، مسابقات حفظ وقراءة القرآن الكريم والتي تقام في منتصف شهر شعبان المعظم من كل سنة في مدينة قم المقدسة، تزامناً مع ذكرى ولادة منقذ البشرية الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) وتجري المسابقة

السبوية في هذا الشهر من يوم ١٣ ولغاية ١٦ شعبان، وكالعادة جرت في هذا العام ١٤٢١هـ المسابقة (الثامنة عشر).

أنشطة المؤسسة

وبتوفيق من الله تعالى ودعم الخيرين من المؤمنين من ذوي الفضل والجود، نجحت الهيئة عبر مسابقاتها وجلساتها القرآنية المتواصلة خاصة في شهر رمضان المبارك من تربية وإعداد نخبة من الشباب والفتيان المؤمنين من الحفاظ والقراء، تمكن العديد منهم في الاشتراك بالمسابقات الدولية القرآنية والحصول على درجات متقدمة.

والهيئة عادةً تتكفل عبر برامجها ومسابقاتها القرآنية بتوزيع العديد من الجوائز والهدايا (النقدية والعينية) للأخوة الحفاظ والقراء الفائزين من مختلف الأعمار والمستويات، وتنظيم سفرة جماعية لهم إلى مشهد المقدسة، للتبرك بزيارة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) لمدة أسبوع كامل تزامناً مع ذكرى ومناسبة وفاة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) من يوم ٢٠-٢٦ شوال سنوياً، وعلى نفقتها وبكل ما يتطلبه من أجور نقل وطعام وإقامة الشعائر العبادية ومراسيم العزاء الحسيني.

إدارة الهيئة

أما إدارة الهيئة والإشراف على سير وتنظيم أعمالها فهي برعاية الحاج مصطفى المؤذن أحد أساتذة وقراء القرآن في العراق وكان مؤذن الحرم الحسيني المطهر في كربلاء المقدسة. وتنتمي مجلة الكلمة الطيبة إلى الهيئة الموقرة دوام الاستمرار بتوفيق الله وتأييده خدمة للقرآن الكريم وعناية به امتثالاً لما أوصى به النبي (صلى الله عليه وآله) وآل بيته الأطهار (عليهم السلام).

استراحة العدد

طب

هل تحمي القوة من السرطان؟

أشارت بعض الدراسات الطبية منها دراسة بريطانية أجريت في مركز البحوث السرطانية في مدينة بريستول إلى أن الكافيين الموجود في القهوة والشاي يمكن أن يحمي من سرطانات القولون. ولوحظ أن الكافيين يزيد من تأثير المعالجات الشعاعية على الأورام السرطانية الموجودة في الأمعاء، كما وجد في الأبحاث المخبرية أن زيادة الكافيين في الخلايا السرطانية في الأواني الزجاجية يزيد من تدميرها بمعدل ١٥ إلى ٢٠ في المائة إذا عرضت الخلايا لأشعة خارجية. وهذه الملاحظات وجهت العلماء إلى أن هناك مركبات كيميائية تلعب دوراً في تفعيل آلية تدمير الخلايا السرطانية.

الهليوم

تم ابتكار طريقة جديدة لإعطاء الدواء في العضل غير الحقنة العادية القديمة، وجرى استبدالها بأنبوب تصدر عنه أضواء ووميض، وبمجرد الضغط به على الجلد يقذف الدواء المسحوق بواسطة (الهليوم) مباشرة تحت الخلايا، وتكون ذرات الدواء صغيرة جداً وبالكاد يشعر المريض بها.

علاج جديد لسرطان البروستات

قال باحثون نحو ثلث الرجال المصابين بسرطان البروستات يمكنهم الاستفادة من طريقة انتقائية يتم خلالها تجميد الورم وقتله من دون إصابتهم بأي أثر جانبي محتمل. وأشار (جاري أونيك) من مستشفى فلوريدا عند تشخيص الإصابة بسرطان البروستات: يختار المصابون طرقات عدة للعلاج وعادة ما يترتب على ذلك آثار جانبية مثل الغثاس وسلس البول والمشكلات المعوية. وذكر البحث أن الأسلوب الجديد سيلائم المصابين بسرطان البروستات الذين لم تصب لديهم الغدة إلا بورم واحد فقط وهو ما يمثل قرابة ٣٥ في المائة من كل الحالات. وفي مثل هذه الحالات يتم تجميد ربع إلى ثلاثة أرباع الغدة ولكن يستثنى من ذلك واحد من العصبيين الممتدين إلى جنب البروستات والذين يتحكمان في الانتصاب.

قد يكون للهرمونات دور في الصداع النصفي

قال بحث جديد نشر أن هرمونات مثل الميلاتونين والكورتيزول قد يكون لها دور رئيسي في الإصابة بالشقيقة (الصداع النصفي) بشكل مزمن يمكن أن يحدث بمعدل مرتين في الشهر. واكتشف باحثون في البرازيل مستويات غير طبيعية لهرمون الضغط (الكورتيزول) وهرمون النمو (البرولاكتين) وهرمون النوم (الميلاتونين) في الأشخاص الذين يعانون الشقيقة. وتفرض هذه الهرمونات منطقة في المخ تعرف باسم ما تحت السرير البصري تتصل بالجهاز العصبي. وقال الدكتور (ماريو بيريس) من مركز علاج الصداع بـ(ساوباولوفي) تقرير بدورية علم الأعصاب وجراحة الأعصاب والطب النفسي أنهم وجدوا نمطاً غير طبيعي للافرازات الهرمونية في منطقة ما تحت السرير العصبي. فعندما قارن الباحثون مستويات الهرمونات في ١٧ شخصاً يعانون الشقيقة المزمنة وتسعة آخرين أصحاء من السن والجنس نفسهما لا حظوا انخفاضاً في مستويات البرولاكتين أثناء الليل لدى مرضى الشقيقة. كما وجدوا زيادة في تركيز (الكورتيزول) وتأخراً في إفراز (الميلاتونين) ليلاً مع انخفاض مستويات عند مرضى الشقيقة الذين يعانون الأرق.

تناول الأسماك يقلل احتمالات الإصابة بالاكتئاب

يعتقد العلماء أن لديهم دليلاً على أن زيت السمك يمكن أن يعالج الاضطرابات العقلية مثل الاكتئاب وعسر القراءة وهي الحالات التي تزداد شيوعاً في العالم الغربي. وأبلغت (الكسندرا ريتشاردسون) باحثة علم الأعصاب في جامعة (اكسفورد) البريطانية ندوة عن الاكتئاب عقدت في استوكهولم يوم الخميس (يمثل ذلك حقاً نجاحاً في معالجة حالات اكتئاب الفرد. إذا لم تصل نسبة كافية من الدهون إلى المخ فلن يعمل على نحو سليم). والدهون الكافية للتغلب على الكآبة هي كميات كبيرة من أحماض أوميغا ٣ الدهنية الموجودة في الأسماك الزيتية مثل السلمون والماكريل (السمك الاسمقري). ووجدت (ريتشاردسون) أن نقص هذه الدهون اللازمة للنمو الطبيعي وعمل خلايا المخ يسبب الاكتئاب والانعزالية وعسر القراءة في بعض الأشخاص.

فيتامين K

أحد الفيتامينات القليلة التي تصنع في الجسم، وهو ضروري لتخثر الدم ولصنع البروتينات، ويمكن أن يساعد في علاج مرض ترقق العظام. مصادره الجيدة هي الخضروات ذات اللون الأخضر القاتم واللحم ومنتجات الحليب. معظم الناس يصنعون ما يكفي من هذا الفيتامين بشكل طبيعي، لذا لا تحتاج إلى ملحقات. ولا وجود للجرعة المفرطة، كما لا يوجد مقياس محدد لهذا الفيتامين إذا إنه يصنع في الجسم.

الكالسيوم

ضروري للعظام والأسنان القوية، وللمحافظة على تخثر الدم ووظيفة العصب وانقباض العضلات. مصادر الجيدة هي الحليب والجبن واللبن والسمك الزيتي المعلب مع عظامه والخضار ذات الأوراق الخضراء والحبوب والجزر والبندق. إن تناول أكثر من ١٥٠٠ ميلليغرام في اليوم يمكن أن يؤدي إلى ترسبه في الشرايين أو الكلى، يكفي تناول ٨٠٠ ميلليغرام.

النحاس

يساعد على صنع خلايا الدم الحمراء، ويتحكم بالالتهاب ويبقى الجهاز المناعي سليماً. مصادر الجيدة هي الكبد والمحار والجزر والبندق والحبوب والبنجر والحبوب الكاملة والخضراوات. يمكن أن تؤدي الكميات المفرطة منه إلى ألم المعدة والغثيان وألم العضلات، لكن ليس هنالك معيار محدد.

إحصاءات

أرقام مخيفة

خطف الموت ٣ ملايين إنسان من مختلف أنحاء العالم عام ٢٠٠٠ بعد أن أصابهم بمرض الإيدز أي بمعدل ثمانية آلاف وفاة في اليوم. القصة لم تنته بعد.. ففي كل يوم يصاب ١٥ ألف إنسان بهذا المرض الخطير، سواء عن طريق الاتصال الجنسي أو نقل الدم الملوث أو استخدام حقن ملوثة عند تعاطي المخدرات. ٩٥ بالمائة من الإصابات بالإيدز تحدث في الدول الفقيرة... ففي أفريقيا يوجد الآن واحد من بين خمسة مصاب بالمرض. في جنوب أفريقيا وحدها يوجد خمسة ملايين يحملون فيروس المرض... أما باقي الإحصاءات العالمية فتشير إلى:

- ١- خمسة ملايين و ٣٠٠ إنسان أصيبوا عام ٢٠٠٠، مات منهم نحو ثلاثة ملايين.
- ٢- في أواخر العام الحالي يكون عدد حاملي الفيروس في العالم ٤٠ مليوناً.
- ٣- منذ ظهور الإيدز حتى نهاية العام ٢٠٠٠، مات ٢١ مليوناً و ٨٠٠ ألف.
- ٤- عدد الأيتام الذين خطف الموت أمهاتهم أو آبائهم بعد إصابتهم بالإيدز يبلغ ١٣ مليوناً و ٢٠٠ ألف طفل.

الوضع العالمي للإيدز

الصحراء الأفريقية	٢٥,٣ مليون
شمال إفريقيا والشرق الأوسط	٤٠٠ ألف
أميركا الشمالية	٩٢٠ ألف

جزر الكاريبي	٣٩٠ ألف
أمريكا اللاتينية	١,٤ مليون
جنوب وجنوب شرق آسيا	٥,٨ مليون
شرق آسيا والباسفيك	٦٤٠ ألف
وسط آسيا وشرق أوروبا	٧٠٠ ألف
غرب أوروبا	٥٤٠ ألف
استراليا ونيوزيلاند	١٥ ألف
المجموع	٣٦,١ مليون

المعادن

تحتوي القشرة الأرضية على سنتيجرام واحد من الذهب في كل طن وتحتوي مياه البحر من ١ إلى ١٠ مليجرامات بالمتر المكعب، وتصل أعماق مناجم الذهب إلى ٣٠٠٠ متر في إفريقيا الجنوبية وتصل أعماق مناجم الذهب في البرازيل إلى ٢٤٠٠ متر.

في سنة ١٩٧٩ اكتشف منجم ذهب في جزيرة جراهام في كندا، قدرت قيمته بملياري دولار، وفي استراليا اكتشفت أكبر كتلة ذهبية ممزوجة وزن ٧٠,٩٢ كيلوجرام، فيها ذهب صافي بوزن ٦٩,٩٢ كيلوجرام وآخر إحصائية عن استهلاك الذهب فإن أكثر القارات استهلاكاً للذهب هي آسيا بمعدل ٥٨٥ كيلوجرام، وأوروبا ٤٧٥ كيلوجراما، وأمريكا ٣٣٠ كيلوجراما.

البلاتين (الذهب الأبيض) يعتبر من عام ١٩٧٨، من المعادن التي تؤثر على قيمة العملات الدولية وقوتها، ويوجد الاحتياطي منه في الاتحاد السوفيتي بنسبة ٦٥% وفي إفريقيا الجنوبية بنسبة ٢٥%، والجدير بالذكر أن البلاتين يستعمل في الأجهزة الخاصة ضد التلوث وفي الصناعات الكيميائية بالغة الأهمية، وأكبر الدول المستهلكة له، اليابان والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

٩٠% من الأمريكيين يعانون الكوابيس

توصلت أول دراسة أجريت على الشعب الأمريكي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر لقياس التأثيرات النفسية للأحداث الإرهابية إلى أن ٩٠% من الأمريكيين يعانون الكوابيس وحالات الغضب الشديدة والأرق وصعوبة التركيز وأعراض أخرى للقلق النفسي بعد تلك الأحداث.

ويقول (د. مارك شوستر) الذي قاد فريق البحث في معهد بحوث راند بسانتا مونيكا في كاليفورنيا إنه حتى البعيدين عن موقع الأحداث ظهرت لديهم أعراض القلق. فأمريكا كلها تأثرت بهذه الأحداث. ومع أن تلك الأعراض وجدت بكثرة في الساحل الشرقي حيث وقعت تلك الهجمات عند أكثر من ثلث الناس فإن سكان الشاطئ الغربي ظهرت عندهم تلك الأعراض بنسبة كبيرة.

وقد تركت تلك الأحداث الإرهابية بصماتها على الأطفال حيث أن ٣٥ في المائة من الأطفال ظهرت عندهم

بعض أعراض القلق، بينما ٤٧ في المائة من الأطفال خائفون على سلامتهم أو سلامة من يحبونهم. الجدير بالذكر والذي كشفت عنه الدراسة أيضاً أن ٩٠ في المائة منهم قد توجهوا للصلاة أو للتدين. وأن ٦٠ في المائة التحقوا بنشاطات جماعية أو عامة. وتبرع أكثر من ثلث الأمريكيين بالدم أو بالمال أو بوقتهم بعد الأحداث مباشرة، ومن الطبيعي أن يحس الناس بالاضطراب والقلق. فنحن نعيش الآن في عالم مختلف، ولكن إذا استمرت تلك الأعراض، فيجب أن يزور هؤلاء الناس الطبيب وخاصة إذا كان لديهم تفكير في الانتحار. ويعكف الآن فريق راند على إتمام دراسة متابعة لقياس الحالة النفسية للأمريكيين بعد شهرين من الهجمات.

كومبيوتر

الإفراط في استخدام الحواسيب قد يعرض الأطفال للإعاقة

بعد ازدياد حالات المعاناة من متاعب ومشاكل صحية ترتبط ارتباطاً مباشراً باستخدام الحاسوب بين أوساط التلاميذ والطلبة في بريطانيا، بدأ خبراء الصحة يولون الأمر اهتمامهم البالغ ويعكفون على دراسات مستفيضة لمعرفة تأثير وانعكاسات هذه المعاناة ومعالجة جذورها في الأساس. وقد صرح عدد من الأطباء في بريطانيا أن إصابات الرقبة والظهر والأطراف وخصوصاً توتر الأطراف الترددي أخذت ترتفع بين أوساط التلاميذ والطلبة الذين يكثرون من استخدام الحاسوب، ولفترات طويلة سواء للتسلية وللعاب أو لأداء الوظائف المدرسية، مما يجعلهم أكثر عرضة للتقلصات والتوترات التي تصيب العضلات بل والعظام أيضاً. وحذر الدكتور ليون ستاركر، الذي كان قد أجرى بحثاً في استراليا في هذا الصدد، من أن هذه المسألة قد تصبح مشكلة عالمية تصيب معظم الأطفال في العالم وليس في بريطانيا فقط، لا سيما وأن الجيل الحالي من الأطفال هو أول جيل يستخدم الحاسوب في مرحلة مبكرة هي مرحلة تطوير ونمو العضلات والعظام، وإذا لم يعتمد المختصون إلى إيجاد السبل المثلى لاستخدام الحاسوب على نحو صحي فسوف نرى في المستقبل القريب أعداداً كبيرة من الشباب المعاقين ربما من جراء استخدام الحاسوب دون مراعاة للقواعد الصحية ابتداء من طريقة الجلوس وانتهاء بعدد ساعات الاستخدام.

سوبر كمبيوتر من آي. بي. أم لمحاكاة التجارب النووية

أعلنت شركة آي. بي. أم. العملاقة للمعلوماتية أنها ستعاون مع مختبر لورنس ليفرمور الوطني للأبحاث لتوسيع مدى تطبيقات السوبر كمبيوتر (بلوجين) ليشمل مشاريع الأبحاث النووية وخاصة لمحاكاة التجارب النووية. وستشارك الشركة مع المختبر في تصميم الكمبيوتر من سلسلة (بلوجين) على أن يصبح جاهزاً قبل عام ٢٠٠٥. وسمي الكمبيوتر (بلوجين/ إل) وستبلغ سرعته ١٥ ضعف سرعة أقوى سوبر كمبيوتر حالياً. وتبلغ قوته حوالي ٢٠٠ تيرافلوب مما سيخوله القيام بحوالي مليوني مليار عملية حسابية في الثانية بما يواز قدرة حسابية تتجاوز قدرة ٥٠٠ من أقوى الكمبيوترات في العالم مجتمعة. وأشار ديفيد نواك مدير مشروع الكمبيوترات الضخمة في مختبر ليفرمور أن باحثي المختبرات الوطنية ينوون استخدام هذا الكمبيوتر لمحاكاة الظواهر الفيزيائية كتعق المواد ووضع نماذج للحرائق والانفجارات والاضطرابات. وقد صمم المشروع على

الأخص لمنح الولايات المتحدة القدرة على المحاكاة المعلوماتية في مجال التجارب النووية. ويفترض بالنموذج الأول من السوبر كمبيوتر (بلوجين) (المورثة الزرقاء) أن يبصر النور عام ٢٠٠٤ بعد أن أعلنت عنه آي. بي. أم في أواخر ١٩٩٩. وستستخدم تلك الأنظمة المعلوماتية القوية بشكل خاص في الأبحاث البيولوجية الطبية وخاصة في مجال (علم البروتينات) ..